

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

عادات المجتمع المغاربي بين الموروث البربري المحلي والمؤثرات
العربية الوافدة

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص: الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إشراف الأستاذ (ة):

إعداد الطالبة:

- حفيظة لعياضي

- سهيلة بوهددي

لجنة المناقشة

الصفة	الرتبة	الاسم واللقب
رئيسا	دكتور	محمد محمودي
مشرفا	دكتورة	حفيظة لعياضي
مناقشا	دكتور	إبراهيم مرزقلال

السنة الجامعية: 1439. 1440 هـ / 2018. 2019 م



شكر وجر فاه

نشكر الله سبحانه وتعالى على فضله وتوفيقه لنا ، والقائل في محكم تنزيل

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ الآية رقم: (07) سورة إبراهيم

أتقدم بخالص الشكر الجزيل والعرفان بالجميل والاحترام والتقدير لمن غمرتني بالفضل واختصتني بالنصح وتفضلت عليّ بقبول الإشراف على رسالة الماجستير أستاذتي ومعلمتي الفاضلة الأستاذة

"لعياضي حفيظة"

التي سهلت لي طريق العمل ولم تبخل عليّ بنصائحها القيمة ، فوجهتني حين الخطأ

وشجعني حين الصواب ، فكانت قبس الضياء في عتمة البحث وكانت نعم الناصحة ومنحتني

الثقة وغرست في نفسي قوة العزيمة ولم يدخر جهداً ولم تبخل عليّ من وقتها الثمين

أبقاها الله ذخراً لطلبة العلم وجعل ذلك في ميزان حسناتها وأرضاها بما قسم لها

كما أتقدم بالشكر إلى كل أساتذة قسم التاريخ وخاصة الأستاذ

"خنصر بولطيف"

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

يارب إذا أعطيتني نجاحا فلا تأخذ تواضعي وإذا أعطيتني تواضعا فلا تأخذ اعتزازي
بكرامتي

أهدي عملي هذا إلى من سهرت وضحت براحتها حتى تراني مرتاحة وشممتني
بعطفها وحنانها ورعايتها إلى "أمي الحبيبة"

إلى خالتي "دراي فاطمة" وخالتي "دراي هلال"

إلى أبي الثاني "عزيز وراج"

إلى أختي "منى ملاك وإكرام ويوسف"

إلى أخوالي وأسرتي

إلى رفيقات دربي اللواتي قضيت معهن أحلى الأيام بالأخص أمينة ولبندة وشهيرة

إلى كل زميلاتي وزملائي إلى الذين يحبهم الله ويريد لهم قلوب

أهدي ثمرة جهدي هذه.



قائمة المختصرات:

الرمز	المعنى
ت	توفي
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ج	جزء
د:ت	دون تاريخ
د:م	دون مكان النشر
د.م.ج	ديوان المطبوعات الجامعية
ص	صفحة
ص ص	صفحات عديدة
ط	طبعة
ع	العدد
ق	القرن
ق م	قبل الميلاد
مج	مجلد
إلخ	إلى آخره
هـ	تاريخ الهجري

مَغْرَمَةٌ



يعتبر الموروث الشعبي جزءا مهما من تاريخ وثقافة الشعوب، فهو الوعاء الذي تستمد منه عقيدتها وتقاليدها وقيمتها الأصلية ولغتها وأفكارها وممارستها وأسلوب حياتها الذي يعبر عن ثقافتها وهويتها الوطنية وجسر التواصل بين الأجيال، وان التحولات التي عرفها المجتمع المغربي جعلت منه موضوعا للدراسة، حيث أن التاريخ المغربي يزخر بترائه العريق المستوحى من ينابيع مغربية أصلية، وروافد وافدة متداخلة متعددة وإن اختلفت مصادرها وتباينت ينبوعها، وتعددت لغاتها وألسنتها بين أمازيغية بربرية وعربية إسلامية، حيث يدور موضوع البحث، حول الجانب الاجتماعي لبلاد المغرب، والذي يضم المغرب الأدنى والأوسط والأقصى، اما ضبط الموضوع زمنيا فكان جزء منه في العهد القديم وجزء منه في العصر الوسيط.

- أهمية الموضوع:

يعتبر موضوع عادات المجتمع المغربي بين الموروث البربري المحلي والمؤثرات العربية الوافدة، نمط من الكتابة التاريخية التي تتحدث عن الظاهرة الدينية والاجتماعية للمجتمع المغربي، لاسيما وأنها شكلت موضوع اهتمام عدد كبير من المؤرخين المعاصرين، ذلك أن الدراسات التاريخية لم تعد مقتصرة على المواضيع السياسية والصراعات العسكرية، بل تعدتها إلى المواضيع التي لها علاقة بالسلوكات والممارسات اليومية وهو الطابع العام السائد في الدراسات التاريخية الحديثة.

- عوامل اختيار الموضوع:

- اجتمعت دوافع علمية وذاتية دفعتنا لاختيار هذا الموضوع ومن أهمها نذكر:
- الميل إلى الموضوعات الاجتماعية.
- حب الإطلاع على تراث أجدادنا البربر.
- طابع التشويق العلمي المرتبط بالأعياد والاحتفالات.

بالإضافة إلى كون دراستنا من المواضيع المستجدة في الحقل التاريخي، ويأتي اختيارنا لهذا الموضوع لقلّة الأبحاث التاريخية التي حفرت في العادات والتقاليد المتعلقة بتراث المجتمع المغربي والمؤثرات التي تعرض إليها، إذ ركزت معظم الدراسات على الأوضاع السياسية والعسكرية وأهملت المواضيع الاجتماعية كون جل الدراسات التي لامست موضوع البحث قام بها مؤرخون فرنسيون خدمة لأغراض إيديولوجية، كانوا يهدفون من ورائها إلى طمس الحقيقة التاريخية خدمة لمصالحهم، ونحن بهذا سعى إلى التحقق منها وتفنيدها خصوصا فيما يتعلق بالبعد الوثني ببعض العادات الاحتفالية.

كما أننا أردنا من هذا العمل أن نثري حقل الدراسات التاريخية المتعلقة بالتاريخ الاجتماعي في بعده الديني للمغرب الإسلامي، علنا ننير زاوية لطالما تناساها المهتمون بدراسة المجتمع المغربي.

- الدراسات السابقة حول الموضوع:

بسبب طابع التعميم والتهميش الذي فرضه المؤرخون على الجانب الاجتماعي للمجتمع المغربي، إذ أن بعض الدراسات التاريخية الحديثة أشارت إلى هذه الظاهرة دون مراعاة لخفاياها، وبالتالي طبعت الموضوع بالطابع الشمولي، فتناولت ظاهرة العادات والتقاليد في المجتمع البربري في سياق التاريخ الحضاري لبلاد المغرب، وأغفلت الحديث عن الحياة الاجتماعية للمغاربة.

وإن كانت بعض الدراسات التي تناولت موضوع الموروث البربري لكن تكاد تكون منعومة إلا ما جاء عرضا في بعض الكتب في جزئيات قليلة منها، فإن الموضوع لم يحط بدراسة معمقة تذكر من قبل الباحثين والمهتمين بالتاريخ الديني والاجتماعي للبربر، في باب الموروث البربري والمؤثرات العربية الوافدة على المجتمع المغربي، في دراسة مستقلة تستوفي جميع الشروط، باستثناء بعض الاشارات أثناء الحديث عن تاريخ المجتمع المغربي بصفة عامة، ولعل ما يفسر هذا الإقصاء من دائرة اهتمامات الباحثين والمؤرخين هو شح المادة التاريخية في المقام الأول.



ومن بين الدراسات التي عيّنت بدراسة المجتمع المغربي، نجد كتاب جودت عبد الكريم يوسف الذي تطرق فيه إلى الجانب الاجتماعي للبربر، كما تناول محمد علي دبوز في كتابه الجوانب الاجتماعية والدينية للمجتمع المغربي، إضافة إلى غابريال كامبس والذي تناول الطقوس التعبدية للبربر وبعض العادات المتعلقة بهم.

كما تناولت الدراسة الموسومة ب: النوازل الفقهية والمجتمع، أبحاث ودراسات في تاريخ الغرب الإسلامي في العديد من الجوانب الاجتماعية المرتبطة بالمجتمع المغربي، وأهمها نوازل المعيار للونشريسي.

- الإشكالية:

وقد اردنا من خلال هذا الموضوع معالجة جملة من التساؤلات أهمها:

- ما مدى تمسك ذهنية الإنسان المغربي بتراث أجداده البربر وإلى أي مدى أثر وفود العرب المسلمين على تنفيذ أو بقاء عاداته وتقاليدهم؟
- * فيما تمثلت عادات البربر قبل مجيء الإسلام لبلاد المغرب؟
- * بماذا تميزت العادات الوافدة مع العرب المسلمين؟
- * ما مدى امتثال ذهنية المجتمع المغربي للموروث العربي؟
- * هل كان للموروث البربري القديم حضور في العصر الوسيط؟
- * كيف احتفل المغاربة بأعيادهم؟

- المنهج:

وبغية الإجابة على كل ما يتعلق بهذا الموضوع وما يحيط به من ملاحظات، اعتمدنا على مستويات من القراءة من أجل استنتاج النص التاريخ، وعليه ركزنا أساسا على المنهج التاريخي إضافة إلى الوصفي في استعراض وتقصي الأحداث التاريخية وجمع إفادات التي أدلت بها المصادر التاريخية حول موضوع الموروث البربري والمؤثرات العربية الوافدة، وإبراز أهم النقاط المهمة في هذا الموضوع، كما استعنا بالمنهج التحليلي في الاستنباط واستقراء ظاهرة عادات وتقاليد المجتمع المغربي والمؤثرات التي طرأت عليه.



- هيكلة الموضوع:

تماشياً مع ماتوفر لنا من معطيات والمادة العلمية المتاحة، وكذا حرصاً منا على اتباع خطوات المنهجية المعتمدة في البحث أرتأينا إلى تقسيم هذا الموضوع إلى ثلاثة فصول مع ترتيبها ترتيباً موضوعياً، إذ تناولنا دراسة الموضوع من خلال المتن الذي بدأناه بـ:
فصل تمهيدي بعنوان مفاهيم عامة حول البلاد والسكان، حاولنا أن نقف على ماهية المدلول الجغرافي للمغرب الإسلامي، وكذا التعرّيج على مدلول البربر والعرب، لنختم هذا الفصل بمفهوم العادات والتقاليد.

أما الفصل الأول فكان بعنوان الموروث البربري المحلي، وتناولنا فيه العناصر التالية: العادات الدينية التي تطرقنا فيها إلى العادات المتعلقة بالمعتقدات التعبدية للبربر وكذا العادات المرتبطة بطقوس استدرار المطر وطقوس الدفن، ثم العادات والتقاليد الشعبية التي تناولنا فيها العادات خاصة بالطعام والمشرب والملبس والمسكن، وكذا عادات خاصة بالمرأة والمجتمع.

أما الفصل الثاني فعنوانه الموروث العربي الوافد، درسنا فيه العادات الوافدة مع عرب الفتح، من خلال تسليط الضوء على العادات الاحتفالية الدينية والتي تطرقنا فيها إلى الاحتفال بشهر رمضان وليلة القدر، وكذا الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى وبموكب الحج ويوم الجمعة، وكذا الولوج إلى الاحتفال بعاشوراء والمولد النبوي الشريف، ثم تناولنا العادات الاحتفالية المدنية والعسكرية، كما تناولنا فيها التأثيرات التي مست الأسرة والمرأة، إضافة إلى التأثيرات التي مست مجال اللباس والمأكل، وكذا العادات الجنائزية، ثم تناولنا العادات الوافدة مع العرب الهلالية، تم فيها تسليط الضوء على الحضور الهلالي في مجال المغرب الإسلامي، من خلال التطرق إلى التأثيرات الاجتماعية وكذا الثقافة الوافدة مع الهلاليين التي يندرج تحتها عنصرين اللهجة الهلالية والشعر الهلالي.

وخاتمة خرجنا فيها بأهم النتائج حول موضوع عادات المجتمع المغاربي بين الموروث البربري والمؤثرات العربية الوافدة لنلخص عدة نتائج، أهمها ان البربر رغم إنصياغهم وتأثرهم

بالحضارة الإسلامية إلا أنهم بقو محافظين على الخصائص البربرية القديمة سواء في سلوكياتهم أو بلباسهم الخاص.

- عرض المصادر والمراجع:

ولأجل تغطية موضوع البحث وجب الاعتماد على بيبليوغرافيا متنوعة متكونة من مجموعة من المصادر والمراجع، منها كتب التاريخ العام وكتب الجغرافيا والرحلة، وكتب متخصصة، وكتب النوازل الفقهية، التي عنيت بكتابتها ورواياتها بالموضوع المتمثل في عادات المجتمع المغاربي بين الموروث البربري المحلي والمؤثرات العربية الوافدة.

أولاً: لكل بحث وموضوع مشاربه المصدرية: وأخص بالذكر منها كتابات المؤرخين الإغريق، ويأتي في مقدمتها كتاب (التاريخ) لهيرودوت كمصدر في الفترة القديمة، والذي أفادنا في الإطلاع على عادات المجتمع المغاربي في العصور القديمة.

ثانياً: كتب التاريخ العام: ولاشك أن كتب التاريخ العام ستكون في الصدارة لدراسة هذا الموضوع ومن بين المصادر العامة المعتمد عليها نذكر من أهمها كتاب ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان بن محمد المتوفي سنة (808هـ/1406م) يتفق المؤرخين أن كتابه:

- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ويعد المصدر الأول الذي يجب الإعتماد عليه في دراسة تاريخ المغرب الإسلامي، فقد عدنا إلى الجزء الأول والثاني والسادس لاحتوائهم على معلومات قيمة عن المجتمع المغاربي، وعن أصول البربر والعرب

- كتاب مسالك الأبصار وممالك الأمصار في جزئه الرابع، لإبن فضل الله العمري، الذي أفادنا في معرفة أنساب العرب وأحوالهم.

ثالثاً: كتب الجغرافيا والرحلات: أما بالنسبة لكتب الرحلات والجغرافيا فهي كثيرة ومفيدة في معرفة تجليات الحياة الاجتماعية لسكان شمال إفريقيا.

- وصف إفريقيا لحسن الوزان، محمد الفاسي (ت957هـ/1552م) بالرغم من أن المؤلف من الطبقة المتأخرة في العصر الوسيط إلا أنه كان مفيدا جدا في وصف الحياة الاجتماعية للمغاربة، إضافة إلى وصفه للجانب الديني للبربر.

رابعاً: كتب الفتاوى والنوازل الفقهية: يفرض العمل على موضوع عادات المجتمع المغربي، الرجوع إلى نوع مغمور من المصادر والتي تمتاز بالصفة التشريعية القانونية المعروفة بكتب النوازل الفقهية، لأنها تحمل آراء فقهاء عالجا العديد من القضايا المطروحة سواء كانت إجتماعية متعلقة بالحياة اليومية أو الجانب الديني، فهي تفيد في الوقوف على آراء الفقهاء في بعض الطقوس والممارسات الدينية والاجتماعية للمجتمع المغربي.

- المعيار والجامع المغرب في فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب للونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى التلمساني (ت 914هـ/1508م) يعطينا هذا المصدر من خلال توازنه الكثير من المعلومات حول الجانب الديني و الاجتماعي للبربر، فقد أفادنا كثيرا في الوقوف على مظاهر وخصائص المجتمع المغربي وكذا السلوكات المنتشرة في أوساط مجتمعهم.

أما المراجع:

التي اعتمدنا عليها فهي كثيرة خاصة التي لها صلة بموضوع البحث، حيث تمكنا من التعمق في بعض فصولها وتفريعها التي أفادتنا في إضاءة بعض الزوايا من خلال النتائج التي توصل إليها أصحاب المراجع وكذا طريقة تناول الموضوع من بينها على وجه الخصوص:

- كتاب الملامح الباكورة للفكر الديني الوثني في شمال أفريقيا، لمؤلفه محمد الصغير غانم، الذي أفادنا في الإطلاع على الممارسات والطقوس التعبدية للبربر، إضافة إلى بعض العادات المنتشرة في داخل المجتمع المغربي.

- كتاب تاريخ أفريقيا، لمؤلفه شارل أندري جوليان، الذي أفادنا في الجانب الاجتماعي والديني للمجتمع البربري.

- كتاب دراسات في الفكر المثيني الأمازيغي، لمؤلفه محمد أوسوس الذي أفادنا في تسليط الضوء على العديد من العادات والتقاليد الأمازيغية المنتشرة داخل المجتمع المغاربي.
- كتاب إفريقيا لمؤلفه مارمول كاربخال، الذي أفادنا في تسليط الضوء على الجوانب الاجتماعية للمغاربة إضافة إلى الممارسات الدينية للبربر.

- الصعوبات:

وكأي بحث فقد أعتزضتنا بعض الصعوبات والتي نذكر منها:

قلة المادة العلمية التي تطرقت إلى الموضوع المراد دراسته والمتمثل في عادات المجتمع المغاربي، حيث أن أغلب المؤرخين إن لم نقل كلهم اهتموا بالجانب السياسي والعسكري والثقافي لبلاد المغرب وأهملوا الجانب الاجتماعي.

ولاشك أن موضوع عادات المجتمع المغاربي موضوع صعب نظرا لأنه يتعلق بالحقل الاجتماعي، كما أن الموضوع كبير جدا لن تكفيه مذكرة ماستر للإحاطة بكل تفاصيله اولا بسبب أهمية الموضوع ثانيا اتساع زمن الدراسة، وأيضا تكرار المعلومات في المراجع والتي قام أصحابها بالنقل الحرفي عن بعضهم البعض، إضافة إلى ضيق الوقت.

الفصل التمهيدِي:

مفاهيم عامة حول البلد والسكان

1- المدلول الجغرافي للمغرب الإسلامي.

2- تعريف البربر.

3- تعريف العرب.

4- مفهوم العادات والتقاليد.

1- المدلول الجغرافي للمغرب الإسلامي:

إن المغرب جزيرة أحاطت بها البحار من كل جهة، بحر القلزم من المشرق ومن الشمال البحر الرومي (البحر المتوسط)، أما حد المغرب من الغرب البحر المحيط، فصار المغرب كالجزيرة دخل فيها مصر والقيروان والمغرب الأوسط والزاب والسوس الأقصى.¹ ولقد اشتمل المغرب الإسلامي على بلاد الشمال الإفريقي المختلفة الممتدة من حدود مصر الغربية إلى المحيط الأطلسي²، أي من حدود دواحة "سيوة" المتاخمة للبلاد المصرية شرقا إلى ساحل المحيط الأطلسي غربا وإلى ضفة وادي النيجر جنوبا.³ أما عن تحديد بلاد المغاربة في شمال القارة الإفريقية، حيث تظهر خريطتها على شكل رباعي منتظم ويحدها من الشمال البحر المتوسط ومن الجنوب الصحراء ومن المغرب المحيط الأطلسي وشرقاً مصر، وهي تمتد بين خطي 18° - 38° شمال خط الإستواء وبين خطي طول 25° شرقاً و17° غرب خط غرينيتش وهو ما أعطاها موقعا استراتيجيا، فهي تنتمي إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط وتشكيل الجزء الشمالي من القارة الإفريقية مما مكنها من أن تكون حلقة ربط بين المنطقتين.⁴

ولقد اختلف المؤرخون والجغرافيون في إعطاء تسمية أو مصطلح موحد لهذا الإقليم⁵ حيث عرفت بلاد المغرب منذ أقدم العصور بأسماء مختلفة فكان الإغريق يسمون القسم الشمالي منها الذي كان يسكنه العنصر الأبيض باسم ليبو أو ليبيا، بينما كانوا يطلقون على الصحراء اسم بلاد الأحباش السود، أما لفظ إفريقية فقد أطلقه الرومان على الإقليم الذي

¹ مفاخر الدرير، ط1، تح: عبد القادر بويابة، دار أبي رقرق، الرباط، 2005م، ص 185.

² حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط1، مؤسسة المعارض، القاهرة، 1980م، ص 23.

³ عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، ط2، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1965م، ص 35.

⁴ عبد الرحمان خلفه، الديانة الوثنية المغاربية القديمة، منذ النشأة إلى سقوط قرطاجة 146ق.م، رسالة ماجستير، تخصص: في التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منوري- قسنطينة، 2008/2007م، ص 02.

⁵ أوكيل مصطفى باديس، انتشار الإسلام في بلاد المغرب وآثاره على المجتمع خلال القرن 1هـ، رسالة ماجستير، تخصص التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006/2005م، ص 18.

يقابل اليوم الجزء الشمالي الشرقي من الجمهورية التونسية، ويشتمل على قرطاج وما حولها حتى نوميديا غرباً¹.

وأيضاً أطلقت تسميات أخرى على هذا الجزء من الأرض، كنوميديا وشمال إفريقيا وبلاد البربر، واستمر الحال كذلك إلى أن دخل الإسلام إلى هذه البقاع، وعم مصطلح المغرب الإسلامي²، والذي أطلقه الفاتحون المسلمون على المغرب الكبير في القرن الأول هجري.

وقد قسم المسلمون في مصر والشام المغرب حسب قربه وبعده عنهم، حيث قسم المغرب إلى ثلاث أقسام:

أولاً: المغرب الأدنى الذي يبدأ من غرب الإسكندرية شرقاً إلى مدينة (بجاية) غرباً³ فالمغرب الأدنى يشمل تونس وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر وعاصمته القيروان أيام الأغالبة والمهديّة أيام الفاطميين ثم مدينة تونس فيما بعد حتى اليوم.

ثانياً: المغرب الأوسط، ويشمل بلاد الجزائر، ويمتد من تاهرت حتى وادي ملوية وجبال تازة غرباً وقاعدته تلمسان⁴.

ثالثاً: المغرب الأقصى يمتد من وادي ملوية شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً⁵، وعاصمة المغرب الأقصى ترددت بين مدينة فاس ومراكش⁶.

أما بخصوص لفظ المغرب، فالمراد به هو كل ما يقابل المشرق من البلاد وقد اختلف الجغرافيون والمؤرخون المسلمون في تحديد مدلوله فجعله البعض يشمل بلاد شمال أفريقيا بالإضافة إلى الأندلس وجميع الممتلكات الإسلامية في حوض البحر المتوسط، ولكن على

¹ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة النهضة الشرق، القاهرة- مصر، 1984م، ص 11.

² أوكيل مصطفى باديس، المرجع السابق، ص 18.

³ محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج1، مؤسسة ناولت الثقافية، القاهرة، 1964م، ص 12.

⁴ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص 12.

⁵ محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 12.

⁶ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص 12.

الرغم من كل هذه التقسيمات السابقة فإن جمهرة المؤرخين والجغرافيين العرب إتفقوا على تحديد كلمة المغرب بالأراضي الإسلامية الممتدة غربي مصر إلى المحيط الأطلسي¹. كما يجدر الإشارة إلى إطناب الجغرافيون والرحالة في وصف أرض المغرب وأقاليمه وشعابه ووديانه وحصونه وجذوره ومدنه ومناخاته وبعبارات المدح والتفصيل، كما يلاحظ أن هناك إختلاف في حدوده ومفاوزه، ومسالكه، ومقاطعته باختلاف الرواة والكتاب والروايات².

2- تعريف البربر:

يعتبر البربر من أقدم السكان الذين استوطنوا ببلاد المغرب أو بالأحرى السكان الأصليين³، ولقد أطلق المؤرخون على سكان المغرب القديم العديد من التسميات يرتبط بعضها بالمجال الجغرافي الذي كان يسكنه جزء من الناس والبعض الآخر بنوع النشاط الذي يمارسونه أو بالمنظر الخارجي واللباس الذي كانت تلبسه جماعة دون الأخرى⁴، أما البربر أنفسهم فلا يطلقون على أنفسهم هذه التسمية بل يعرفون أنفسهم بأسماء شعوبهم وقبائلهم⁵. ولقد أرجع فئة من المؤرخون الذين أرخوا لأصل كلمة بربر أنها أطلقتها اليونانيون على كل من لايتكلم الإفريقية، وانتقلت إلى الرومان، ثم أخذها عنهم العرب⁶، فكلمة البربر مصدرها يونانية وهي تعني اللفظ والكلام غير المفهوم، إذ يعنون بها كل الذين لايتكلمون لغتهم ومع انتقال موازين القوي العالمية إلى الحضارة الرومانية إستمرار والكلمة من اليونان

¹ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص 12.

² أوكيل مصطفى باديس، المرجع السابق، ص ص 19-20.

³ خديجة شنعة، إعتاق البربر للإسلام، رسالة ماجستير، تخصص الدين والمجتمع، إشراف. رابح لونيبي، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة وهران، 2001م/20012م، ص 10.

⁴ مصطفى بن عريب، مجتمع المغرب الأوسط المتغيرات والعلائق (من القرن 4هـ إلى سقوط دولة الموحدية 668هـ-1269م، القرن 10/13م)، رسالة ماجستير، تخصص التاريخ الحضاري للمغرب الأوسط، إشراف. الطاهر بونابي، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2016م/2017م، ص ص 02-03.

⁵ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 28.

⁶ علي محمود، عبد اللطيف الجندي، البربر في إفريقيا في العصر الأموي 40-136هـ/660-701م، رسالة ماجستير، إشراف حسين يوسف روبرات، قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، (د . ت)، ص 03.

وأطلقوها بدورهم على كل الشعوب والقبائل الخارجة عن نفوذهم بمصطلح البربرية أي كل الشعوب التي لا تتكلم اللاتينية¹.

ويقال أن الشعب البربري نزع إلى شمال إفريقيا بعضهم من أوروبا والبعض الآخر من اليمن عن طريق الحبشة ومصر وليبيا وانتشروا في ربوع المغرب وجهات من الصحراء وأطراف من مصر².

ولقد اختلف المؤرخون حول أصول البربر، حيث نجد مؤرخوا العصر القديم (اليونان-الرومان)، تتجه آرائهم نحو جعل أصل سكان شمال إفريقيا خارجين عن المنطقة³، فأبوا التاريخ هيرودوت لا يتردد في نسبهم إلى الطرواديين الذين طردو من طروادة، ورواية أخرى ترد أصل البربر إلى الكنعانيين الذين هاجروا من فلسطين⁴.

وترد رواية أخرى عن الإغريق تنسب البربر إلى مدينة ميسينا، ويذهب سالوست أن سكان شمال إفريقيا الأوائل هم الجيتوليون والليبيون، وبعد ذلك قاد هيرقل إلى المنطقة عناصر ميدية وأرمينية وفارسية انطلاقاً من إسبانيا، خطط الميديون والأرمن مع الليبيين بينما إندمج الفرس مع الجيتوليين⁵، وورد عن استرابون الذي يرجع البربر إلى الهنود، وبطليموس يردهم إلى الموسينين⁶.

ويلحظ من خلال هذه الروايات أنها تحمل طابعاً أسطورياً تستقيه من أساطير وأخبار تاريخ اليونان والرومان، كما أنها تجعل أصولهم كلها شرقية وأنهم لم يستطيعوا إخفاء وجود سكان أصليين جاءت عناصر جديدة لتختلط بهم.

¹ خديجة شنعة، المرجع السابق، ص 10.

² عثمان الكعك البربر، أعده للنشر: تامنغاست، (د. م)، جمادي الأولى 1375هـ، ص 07.

³ محمد حقي، البربر في الأندلس (دراسة لتاريخ مجموعة إثنية منالفتح إلى سقوط الخلافة الأموية 92هـ-711هـ-

422هـ/1031م)، ط1، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، 2001، ص 16.

⁴ غابرييل كامب، البربر ذاكرة وهوية، تر: عبد الرحيم حزل، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2010م، ص 13.

⁵ محمد حقي، المرجع السابق، ص ص 16-17.

⁶ غابرييل كامب، المرجع السابق، ص 13.

أما أصول البربر عند المسلمين في العصر الأوسط: يعم الغموض والاختلاف وتناقض المؤرخين حول أصل نسب البربر، فإبن حزم الأندلسي يقول أنهم من بقايا نوح عليه السلام، وإدعت طائفة أخرى من المؤرخين¹، أن البربر من ولد حام من الشام عندما نفاهم ملكهم جالوت، ومنه يرجع النسابة العرب أن البربر هم خليط من الكنعانيين والعمالقة نزحو جميعاً إلى بلاد المغرب بعد مقتل جالوت².

وهنا رجح المؤرخون أن البربر يرجع نسبهم إلى اليمن أو جنوب الجزيرة العربية حيث قيل أنهم انتقلوا من اليمن إلى بلاد المغرب في ثلاث موجات رئيسية وذلك خلال عصور الحضارة اليمنية التليدة، فكانت الموجة الأولى من البربر الذين نقلهم الملك إفريقيش بن ذي المنارين الرئاش ملك سبأ ق 12 ق م³، إلى المغرب عندما غلبه الآشوريون أو الأثيوبيون هرب إلى مصر ولما وجد نفسه مطاردا عاجزا عن مقاومة العدو، استشار قومه في أي سبيل يسلكونه للنجاة فأجابوه صارخين "البربر" وهنا وصلوا إلى صحراء إفريقيا⁴، ثم وقعت موجة إنتقالية ثانية في عهد الملك ياسر ينعم ملك سبأ وذي ريدان في القرن 9 ق م، ثم وقعت موجة أو الهجرة الثالثة من اليمن إلى بلاد المغرب في عهد أبي كرب أسعد تبع ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعراب الطور وتهامت، وذلك في القرن 7 ق م⁵، أما ابن خلدون فقد كرر أن البربر من نسل كنعان بن حام بن نوح وتحديدا من اليمن أي حضرموت، وأنه يستثني منهم صنهاجة وكتامة⁶.

¹ ناصر بلميلود، كريم دموم، الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين من 541-667هـ/1126-1268م، مذكرة ماجستير، تخصص تاريخ وسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، 2014-2015م، ص 12.

² خديجة شنعة، المرجع السابق، ص 12.

³ محمد حسين الفرح، عروبة البربر تاريخ ودلائل انتقال البربر من اليمن إلى بلاد المغرب والجذور العربية اليمنية لقبائل البربر، إصدارات تريم عاصمة الثقافة الإسلامية، صنعاء، 2004م، ص 31.

⁴ الحسين بن محمد الوزان (ت957هـ)، وصف إفريقيا، ج1، ط2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1983م، ص 84.

⁵ محمد حسين الفرح، المرجع السابق، ص 32-33.

⁶ عبد الرحمان ابن خلدون (ت808هـ)، تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، ج6، تر: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000م، ص 127.

أما صاحب اللسان فيقول أن البربر جيل من الناس يقال أنهم من ولد بر بن قيس بن عيلان¹.

ويذكر صاحب العبر أن علماء النسب متفقون على أن البربر يجمعهم جذمان عظيمان وهما برنس وماذغيس ويلقب ماذغيس بالأبتر فلذلك يقال شعوبه البتر، ويقال لشعوب برنس البرانس، وأن البرانس بتر²، وهو ما أخوان ومن نسل مازيغ بن كنعان ابن حام بن نوح³.

ومن الجدير بالذكر أن معظم روايات العرب ذات طابع أسطوري، ولكنها تحمل في ثناياها بعض الحقيقة التي تعبر عن هجرة البربر إلى الشمال الإفريقي وهي هجرات فينيقية إلى قرطاجة، كما أن اتصال البربر الحضاري قد أوجد نوعاً من الاختلاط في جنس البربر بين فروق حامية، وأخرى سامية.

3- تعريف العرب:

إن الجزيرة العربية التي أتى منها جميع العرب تنقسم إلى ثلاث أقسام: بيطري واليمن والخالية⁴، حيث قال الجوهري في صحاحه أن العرب جيل من الناس وهم أهل الأمصار والأعراب لسكان البادية⁵، أما ابن خلدون فيرى أن هذه الأمة من العرب البادية أهل الخيام الذين لا أغلاف لهم لم يزالوا من أعظم أمم العالم، يكثر الأمام تارة وينتهي إليهم العز والغلبة بالكثرة فيظفرون بالملك ويغلبون على الأقاليم والمدن والأمصار⁶.

ولقد اختلف علماء اللغة في مدلول كلمة الاصطلاحية للعرب من حيث اللفظ ومصدر الإنشقاق، وعلى الرغم من كثرة التفسيرات اللغوية نذكر من بينها مايلي: إلتزام

¹ أبو الفضل جمال الدين النصارى الخزرجي، ابن منظور (ت 711هـ)، لسان العرب، ج2، ط2، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ص 277.

² عبد الرحمان، ابن خلدون، ج6، المصدر السابق، ص 117.

³ محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 35.

⁴ مارمول كاربخال، إفريقيا، ج1، تر: عمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف، الرباط- المغرب، 1984م، ص 98.

⁵ أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت 821هـ)، نهاية الآداب في معرفة أنساب العرب، ج1، ط2، تح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبنانية، بيروت، 1980م، ص 07.

⁶ عبد الرحمان ابن خلدون، ج2، الصدر السابق، ص 283.

العرب الأوائل عند دراستهم تفسير كلمة عرب بمنهجهم التقليدي في علم الأنساب¹، فقال بعضهم أول من أنطق الله لسانه باللغة العربية يعرب بن قحطان، وهو أبو اليمن كلهم وهم العرب العاربة، وهناك من يقول ان أولاد إسماعيل عليه السلام نشؤوا بعربة وهي من تهامة فنسبوا لبلدهم وعربة هي مكة وقال اللسان "أقامت قريش بحرية فتخت بها، وانتشر سائر العرب في جزيرتها فنسبوا كلهم إلى (عربة) لأن أبوهم إسماعيل عليه السلام"².

كما أن كلمة عرب مشتقة من الفعل يعرب، أي يفصح في الحديث وأصبحت تدل على العرب كجنس لفصاحتهم في اللسان، كما أن المقصود بالعرب سكان المنطقة الواسعة الذين أعطوها إسمهم فصارت تعرف ببلاد العرب³. ولقد قسم المؤرخون العرب إلى ثلاث أقسام:

أولاً: العرب البائدة فهم العرب الأول الذين ذهب عنا تفاصيل أخبارهم لتقام عهدهم وهم عاد وثمود، وجرهم الأولى⁴، وجديس وطسم، ويلحق بهم مدين فإنهم ممن ورد القرآن بهلاكهم والغير البائدة وهم الباقيون المتأخرون كبرهم الثانية وسبأ وبني عدنان ثم منهم من باد بعد ذلك⁵.

ثانياً: العرب العاربة فهم اليمن من ولد قحطان⁶، وأن مصطلح العاربة يقصد به تلك القبائل التي سكنت الجزيرة العربية في زمن العصور المطيرة قبل عشرين ألف عام⁷، فالعاربة هم

¹ محمد سهل طقوش، تاريخ العرب قبيل الاسلام، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2009م، ص 25.

² أصيل الصيف الأصولي، "العرب والعاربة والمستعربة، أصل التسمية وتاريخها"، مجلة كان التاريخية، العدد 03، دار ناشري، (ب.م)، مارس 2009م، ص 81.

³ محمد سهل طقوش، المرجع السابق، ص 25.

⁴ ابن فضل الله العمري (ت 749هـ)، مسالك الأبحار في ممالك الأمصار، ج4، ط1، تح: كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2010م، ص 129.

⁵ أبو العباس القلقشندي، المصدر السابق، ص 08.

⁶ ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ص 129.

⁷ أصيل الصيف الأصولي، المرجع السابق، ص 81.

العرب الأولى الذين فهمهم الله اللغة العربية ابتداء فتكلموا بها فقليل لهم عاربة يعني الراسخة في العروبة¹.

ثالثاً: العرب المستعربة فهم من أولاد إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام²، حيث نشأ إسماعيل عليه السلام مع العرب العاربة فتكلم بلسانهم هو وأولاده ولذلك هم متجذرون في العروبة وليسوا بدخلاء³.

في حين يقول الجوهري: وقد قيل فيهم العرب العبراء، والمستعربة هم الداخلون في العروبة، ثم اختلف في العاربة والمستعربة، فذهب ابن اسحاق والطبري إلى أن العاربة هم عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وعبيل والعمالقة وعبد صنم وجرهم وحضرموت وحضوراء وبنو ثابر والسلف ومن في معناهم، والمستعربة بنو قحطان بن عابر وبنو إسماعيل عليه السلام⁴.

كما يجدر الإشارة إلى أن ابن خلدون حيث صنف العرب إلى أربع طبقات الطبقة الأولى وهم العرب العاربة ثم الطبقة الثانية وهم العرب المستعربة من بني حمير بن سبأ ثم نرجع إلى ذكر الطبقة الثالثة وهم العرب التابعة للعرب، من قضاة وقحطان وعدنان وشعبيها العظيمين ربيعة ومضر، ثم الطبقة الرابعة من المغرب وهم المستعجمة ومن له ملك يدوي منهم بالمغرب والمشرق⁵.

4- مفهوم العادات والتقاليد:

يعرف معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا العادات والتقاليد الشعبية على أنها ظاهرة تاريخية ومعاصرة⁶، وبعد مصطلح "عادة" من المفاهيم الأساسية في الدراسات الإجتماعية

¹ أبو العباس القلقشندي، المصدر السابق، ص 08.

² ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ص 129.

³ أصيل الصيف الأصولي، المرجع السابق، ص 81.

⁴ أبو العباس القلقشندي، المصدر السابق، ص 08.

⁵ عبد الرحمان ابن خلدون، ج2، المصدر السابق، ص 19-21.

⁶ مريم لمام محمدي، "العادات والتقاليد الأسرية بقصر تمرنة (ولاية الوادي) بين الاستمرارية والتغيير"، مجلة إنسانيات، العدد 59، جانفي- مارس 2013، ص 02.

والإنثولوجية ودراسات الحياة الشعبية، كما أن العادات تمارس وظائفها في مجالات متنوعة ومتعددة، بحيث يشمل العالم الغير الإنساني، كما تشمل حياة الإنسان البيولوجية على حد سواء¹.

والعادة في اللغة: هي ما يكرر الإنسان العودة إلى إليه مرارا، واصطلاحا هي: سلوك إجتماعي متكرر يتم توارثه ويمكن أن تكون العادة فردية، أو هي سلوك إجتماعي جبري ملزم، تتكون إنطلاقا من قيمة دينية وعرفية تجعل الأفراد تبعاً².

وإنه لو طبقنا القوة القسرية المعيارية للعادة فإنه يمكن تسميتها بالعادات الشعبية، ومن أهم التعريفات الخاصة بالعادة (الإجتماعية الشعبية) تعريف "مالينوفسكي" الذي يعرفها بأنها أسلوب مقنن من أساليب السلوك يتم فرضه تقليديا على أفراد المجتمع المحلي، ويعرفها "سابير" بأنها كلمة للدلالة على مجموعة من الأنماط السلوكية التي يحملها التراث وتعيش في الجماعة وذلك على خلاف أوجه النشاط الشخصي للفرد التي تتصف بمزيد من العشوائية³.

أما التقاليد فهي في اللغة: مصدر للفعل الرباعي "قَلَدَ" بتضعيف اللام المفتوحة، يقال قَلَدَ فلان فلانا الأمر أي ألزمه إياه، كما يقال قُلْد الماء في الحوض والبن في السقاء يقلده قلداً أي جمعه فيه⁴، ومفردة تقليد هو مأخوذ من القلادة في العنق ولعل قولهم قلد به أمر كذا إذا وليته إياه.

¹ هشام محمد هشام، مريم جلائي، "العادات والتقاليد النبوية في رواية (اللعب فوق حبال النوبة)"، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية، مصر، 12-09-1937، ص 76.

² زهر مساعدة، "في مفهوم الثقافة وبعض مكوناتها (العادات، التقاليد، الأعراف)"، مجلة الذاكرة، ع 9، تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأدبي، الجزائر، جوان 2017، ص 76.

³ هشام محمد هشام، مريم جلائي، المرجع السابق، ص 76.

⁴ محمد عبد اللطيف، جمال الدين، الموسوعة الإسلامية العامة، إشراف أ.محمد حمدي زفزوف، مطابع التجارية، القاهرة- مصر، 2001م، ص 410.

وإن جمع تقاليد ضد الإبتكار ويستعملون التقليد لما يكتبه السلطان أو الأمير الحاكم مصرحا له بتقليده الحكم، وهو ما انتقل إلى الإنسان من آبائه ومعلميه ومجتمعه من العقائد والعادات والعلوم¹.

أما اصطلاحاً: فالتقاليد هي عبارة عن مجموعة من قواعد السلوك التي تنشأ عن الرضا والاتفاق الجمعي، وهي تستمد قوتها من المجتمع وتحفظ بالحكم المتراكمة وذكريات الماضي التي مر بها المجتمع يتناقلها الخلف من السلف جيل بعد جيل، فالتقاليد هي كل ما إتفتت عليه الجماعة ودل على الماضي والقديم².

وقد تستعمل لفظتا العادات والتقاليد بشكل مترادف، إلا أن بعض الباحثين يفرقون بينها معتبرين التقاليد أقل إلزاماً للفرد من العادات وأن الفرد يلتزم بها فقط شكلياً من أجل الحفاظ على التراث الوطني، بينما تعتبر العادات أكثر أهمية³.

ويمكن تحديد الفروقات بين العادات والتقاليد أيضاً في إطار ما نعيشه يومياً، حيث يرى إدورد سابير تستخدم العادات للدلالة على مجموعة الأنماط السلوكية التي يحملها التراث⁴، كما تكمن أهمية العادات في كونها الدعائم الأساسية التي يبني عليها التراث الثقافي في كل بيئة⁵.

وإن التقاليد يقدها الناس ولا يمكنهم الإبتعاد عنها، أما العادات لا يقدها الناس التقاليد سلوك يقبله المجتمع دون معارضة عكس العادات توجد حسب الحاجة، التقاليد تكون

¹ عز الدين جعفري، أطلس العادات والتقاليد بمنطقة توات، أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، 2017م/2018م، ص ص 18-19.

² فائزة اسعد، العادات الاجتماعية والتقاليد في الوسط الحضري بين التقليد والحداثة (مقارنة سوسيو- أنثروبولوجية لعادات الزواج والختان مدينتي وهران وندرومة نموذجاً)، أطروحة دكتوراه، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، 2011م/2012م، ص 121.

³ مريم لمام محمدي، المرجع السابق، ص 03.

⁴ فائزة اسعد، المرجع السابق، ص 128.

⁵ لزهة مساعدي، المرجع السابق، ص 36.

عادة ثم تصبح تقليدا عندما تصبح العادة ملزمة أما العادات تكون عادة فردية أو جماعية، التقاليد ثابتة تحفظ بها الذاكرة الجمعية أما العادات قد يتغير شكلها بفضل التبادل الثقافي¹.

كما يرى بعض الباحثين في كون العادات والتقاليد تتشابه ولو كان في جوهرها فروقات، إذ أن مفهوم العادات والتقاليد يحملان دلالات الإستمرارية في الزمن والمحافظة على الأشكال الثقافية المتوارثة².

كما أن كلاهما يعتبران ممارسات جماعية تلازم الحياة اليومية وتقوم على أساسها مجموعة التي يتبناها الأفراد في مختلف المناسبات، وكلاهما له نفس الوظيفة تتمثل في تزويد المجتمع بالاستقرار³.

¹ فائزة اسعد، المرجع السابق، ص 129.

² مريم لمام محمدي، المرجع السابق، ص 03.

³ فائزة اسعد، المرجع السابق، ص 128.

الفصل الأول:

الموروث البربري المحلي

أولاً: العادات والتقاليد.

- 1- العادات المتعلقة بالمعتقدات التعبدية للبربر.
- 2- العادات الخاصة بطقوس إستدراار المطر وطقوس الفدن.

ثانياً: العادات والتقاليد الشعبية.

- 1- عادات خاصة بالطعام والمشرب والملبس والمسكن.
- 2- عادات خاصة بالمرأة والمجتمع.

أولاً: العادات الدينية.

1- العادات المتعلقة بالمعتقدات التعبدية للبربر:

1-1- عادات متعلقة بتقديس مظاهر الطبيعة:

لقد ظهر جلياً أن المغاربة تعلقوا بالموروث الشعبي الوثني لأجدادهم البربر، إذ يعتبر الشعب المغربي من أكثر الشعوب خضوعاً لعاداته القديمة وسلوكياته الموروثة من أجداده. كان للمعتقد البربري إتصال عظيم بمظاهر الطبيعة وما فيها من عظمة كالأجرام العلوية¹، حيث كانت عادة أفارقة بلاد البربر الأقدمين²، يعبدون الشمس والقمر والنار وبعض الحيوانات، ويقيمون لها معابد فخمة يحتفظون فيها بالنار بكل عناية، فكان نوميديا وليبيا يعبدون الكواكب ويقربون لها القرابين³، فالكواكب عندهم مقدسة⁴. كما أن للكهوف والمغارات عند البربر مقاما رفيعا بسبب ما يعتقدون من حلول الأرواح بها، فهم يتبركون بما فيها من مياه ساخنة أو باردة ويقدمون لها القرابين البشرية توسلاً لقضاء حوائجهم⁵، وقد كانوا ينظرون إليها بخوف واحترام، حيث كانوا يرسمون في جوانب الكهف والمغارات العميقة المظلمة رسومات حيوانية وأدمية مستعنيين في ذلك بإشعال النيران، ومن عاداتهم الذهاب إليها كل عام في فصل الربيع يقدمون لها القرابين، في نقش إهدائي للباكاس الأعلى (إله باكاس في الكهف)⁶، ومن عاداتهم أيضاً، تقديم النذر والأطعمة والأنعام وتطيبب رائحتها بالبخور⁷.

¹ عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص 44.

² مارمول كاربخال، المرجع السابق، ص 119.

³ محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 26.

⁴ مارمول كاربخال، المرجع السابق، ص 119.

⁵ عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص 44.

⁶ محمد الصغير غانم، الملامح الباكر للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدي، عين مليلة، الجزائر، 2005م، ص ص 26-27.

⁷ أسماء حجاب، حفيفة لعياضي، المساهمة الحضارية للممالك الوطنية الأمازيغية في مابين القرنين الثالث ق م والأول ميلادي، رسالة الليسانس في التاريخ القديم، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2008م/2009م، ص 153.

كما كان أيضا من عادات سكان المغرب القديم تقديس الحجارة، ويستند في ذلك إلى أن هذا التقليد المتمثل في أكوام حجرية وسط الموقع الأثري موجود إلى حد ما حتى الوقت الحاضر عند المجتمعات المحلية بالمنطقة، ويتمثل هذا السلوك أن الأماكن مقدسة¹.

وجرت عادة البربر في تقديسهم للحجارة بسكب الزيت أو الدم عليها لتزويد قوتها وهذا حسب اعتقادهم لتجنب فقدان المقدس الذي تحتويه الحجارة، ويلاحظ حتى في أيامنا استمرار تبجيل الحجارة من خلال وضع كرات حجرية وتكديسها على مصطبة في المزارة بالأرياف بجانب أعطيات أخرى كالمصاييح ومجمرات البخور وعادة ما يتم مدعمون بشكل أفقي إلى أعلى من المصطبة تعقد فيه قطع وخرق القماش².

كما كان البربر يعتقدون بوجود الجن، ويرونها أرواح تسكن المغارات وبعض الأشجار وفي بعض المنايع المعدنية، وتراهم يقدسون تلك الأماكن التي يرونها مسكنا للجن ويقربون إليها القرابين.

ولقد تعددت عادات البربر في تقديم القرابين والأضاحي إلى الآلهة التي يعبدونها³ فقد كان البربر يقصون لأبكام من القطيع جزء من أحد أذنيها ثم يرمونه ما بين كتفي القرابان الذي تلوي رقبته ثم يضحى به بعد ذلك للشمس، وهذا بهدف دفع الأرواح الشريرة ونمو القطعان⁴.

وفي إشارة للمؤرخ هيرودوت نلتمس ذلك في قوله: « ان طريقة البدو الرعاة في تقديم القرابين هي قطع جزء من أذن الضحية من بواكير المحصول وإلقائه فوق البيت وعندما يتم هذا يلوون عنق الضحية إلى الوراء وهم لا يقربون لأرباب سوى الشمس

¹ عبد الرحمان خليفة، المرجع السابق، ص ص 66-67.

² محمد علي ديبوز، المرجع السابق، ص 70.

³ مارمول كاربخال، المرجع السابق، ص 119.

⁴ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 18.

والقمر وهذه هي عادة الليبيين جميعا، غير أن القاطنين منهم عند بحيرة تريتونيس يقدمون القرابين لأثينا»¹.

وما يمكن ملاحظته أن هذه العادة قد بقيت سارية المفعول في البلاد الليبية حتى عهد قريب، ففي عيد الأضحى ينتزع طيحال الأضحية ويلصق على مدخل البيت. وإن النوميديون يمارسون كذلك طقوس دينية خاصة وإهادئية، كما أن المجتمع السرتي (نسبة إلى سرت الليبية) أيضا شاعت عنده ظاهرة الاستبدال بتقديم القرابين من الحيوانات مثل الطيور، وأيضا تقديم الفواكه والخمور والعطور إلى الآلهة.

وفي إشارة إلى أن عادات الطقوس التعبدية كان لزاما أن يشرف عليها عارفين بشؤون الآلهة والصلوات²، وأيضا من العادات الدينية انه يكاد يكون لكل قبيلة ليبية كبشها المقدس الخاص بها وأن النظر إليها لم يكن في متناول الجميع، بل كان له مهنة يحيطونه بأساطير خيالية تضفي عليه من القداسة وتجعله مهابا من قبل الجميع³.

1-2- عادات متعلقة بتقديس الحيوان:

لقد كانت عادة البربر في تقديس الحيوانات تتجلى في عدم إيذائها بالقتل أو العنف وكانوا يعتقدون ان ضربها يلحق بهم أضرار كثيرة وعاهات كبرى، كالجنون والشلل والصرع وغيرها، حيث لاتزال عقدة تحريم صيد الحمام باقية في أنحاء كثيرة في المغرب، وكذلك كره ضرب القط، حيث يعتقدون أن من ضرب القط سيما في الليل يُصيب بالجنون، وكذلك الضفدع يعتقدون أن قتله مؤذي⁴.

¹ هيرودوت، التواريخ، الكتاب الرابع، الفقرة 188، نصوص ليبية، تر: علي فهمي خشيم، دار مكتبة الفكر، طرابلس-ليبيا، 1967م، ص 86.

² مها عيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم (من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي)، رسالة دكتوراه، تخصص تاريخ المغرب القديم، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009م/2010م، ص 316-318.

³ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 53.

⁴ محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 69.

ويجدر الإشارة إلى أن بقايا العقائد البربرية القيمة قد تزين البعض منها بزى الإسلام، ومن مظاهر تقديس الحيوانات من قبل سكان المغرب القديم أيضا، تقديس القرد فكانت من عادات الآباء إختيار لأبنائهم أسماء يستمدونها من القردة تبركا بها، إلى جانب أن القردة كانت تعيش مع أولئك السكان في مسكنهم وينظرون إليها كآلهة، ويعملون على استرضائها بتقديم الزاد والأطعة لها¹.

كما أن الثور والكبش والتيس والأفعى والبوم والسحفاة كانت مقدسة عندهم، وهي رموز مؤلهاة في نظرهم².

وإنه من غير المستبعد أن الليبيين القدماء قد عرفوا ممارسات وطقوس سحرية أخرى لطرد الشرور بمختلف أشكالها، ومن تلك الممارسات "النشرة" التي هدفها إبعاد المرض بقوة سحرية، فيضحى بحيوان كالديك أو الدجاج أو الماعز أو الحمل، ويتم وضع قليل من دم الضحية على جبهة المريض أو قليل من زيت فانوس الضريح أو قليل من مصدر الماء المبارك، كما يعني "إعطاء النشرة" تقديم شيء من المال³.

ومن عادات البربر أيضا صنع التمايم التي هي عبارة عن تعويذات تجسد أجزاء من الجسم البشري إعتقادا منهم أنها تحميهم، حيث أدى الخوف من المجهول والأخطار التي كانت تهدد الإنسان في بلاد المغرب القديم، ككل الشعوب في مرحلتها الأولى، إلى ارتداء الأقنعة واتخاذ الأرواح الخيرة بحثا منه الإطمئنان في حياته، فارتدي الأقنعة وتكرر في شكل حيوانات ضخمة مفترسة، بوضع جلودها والقيام بحركات ورقصات سحرية يلعب فيها الخيال دورا كبيرا⁴.

¹ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 58.

² مارمول كاريخال، المرجع السابق، ص 119.

³ عبد الرحمان خلفة، المرجع السابق، ص 42.

⁴ المرجع نفسه، ص ص 39-40.

كما عبد المعبودات المصرية ولاسيما الرية المصرية إيزيس ولذا كان من عادات بعض البربر تحريم أكل لحم البقر وتربية الخنازير إحتراما لهذه الرية¹، وفي هذا السياق يقول هيرودوت: <<فمن مصر علي بحيرة تريطونيوس يعيش الليبيون الرحل... وبسبب نفسه الذي دفع المصريين إلى الامتناع عن أكل لحم البقر، والامتناع عن تربية الخنازير فالليبيون بدورهم يعرضون عن لحم البقر وعن تربية الخنازير بل إن نساء قورينة يعتبرون أكل لحم البقرة نوعا من الإثم احتراماً لإيزيس الرية المصرية التي يكر منها بالصيام والإحتفالات كذلك تمتنع نساء يرقة علي أكل لحم البقرة والخنزير بسواء>>².

وفي إشارة إلى أن البربر قد تأثروا كذلك بالفينيقيين حينما إحتكوا بهم في قرطاجة، فقد كانوا يشكلون مجتعا واحدا، وكانت لهم ديانة واحدة ومعتقدات وعادات وأعراف واحدة، فأخذوا عنهم ما كانوا يتحلون به من أخلاق، وقلدهم حتى في وثنيتهم فجعلوا يعبدون الكباش كما كان يعبد القرطاجيون³.

كما وجب التطرق إلى عادات الأوسيس اللذين يقومون بحفل على شرف الرية أثينة فيقول هيرودوت: « حيث تتوزع فيه الفتيات إلى مجموعتين تتصارعان بالحجارة والعصي ويقولون إنهم ورثوا هذه الممارسات عن أجدادهم تكريما للرية التي ولدت في بلدهم، وإذا حديث أن إحدى الفتيات ماتت متأثرة بجراحها خلال الصراع، فإن ذلك يدل على أنها عذراء مزيفة، وقبل انتهاء الصراع يقومون بمايلي يزينون أجمل فتياتهم ويلبسونهن خوذة كورينثية ودرعا إفريقيا كاملا ثم يركبونها عربة ويطوفون بها حول البحيرة »⁴.

وفي الأخير وجب الإشارة إلى أن أهل البادية في المغرب لم يتخلوا عن عاداتهم وتقاليدهم السابق، والتي ورثوها منذ القدم، وهو ما يرجح فرضية بقاء بعض المظاهر الوثنية

¹ جميل حمداوي، المعتقدات الدينية عند الأمازيغ، ط1، المملكة المغربية، 2017م، ص 18.

² مصطفى اعشي، أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2009م، ص 68.

³ جميل حمداوي، المرجع السابق، ص ص 18-19.

⁴ مصطفى أعشي، أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)، الكتاب الرابع، الفقرة 180، ص 56.

داخل الممارسات الدينية، وذلك ما يؤكد أن الإنسان البدوي كان يمارس شعائره الدينية عبر تمازج الطقس وإشراكه بالسحر والقربان والإيمان بالجن والقوة الخارقة¹.

1-3- عادات البربر في عبادة البشر:

لقد حظي بعض الأفراد خاصة الأموات منهم بنظرية مميزة عن الأحياء إضافة إلى المكانة المميزة التي احتلوها وإلصاق بعض الصفات بهم كالقداسة والقدرة على النفع والضرر وبشكل خاص للأموات فعملية الدفن وما يرتبط بها من طقوس للأموات، وذلك بحمايتهم من كل أعداء²، فكان عادة المغاربة القدماء النوم على قبور الأشخاص الذين كانت لهم مكانة إجتماعية محترمة أثناء حياتهم مثل رؤساء القبائل والكهنة³، ويذكر هيرودوت في هذا الصدد: « من المعتقدات الدينية عند الناسمونين أنهم في طريقهم في القسم واستطلاع الغيب، فإنهم يقسمون بالرجال المنتمين إلى عشيرتهم والذي كانوا أكثر عدلا وطيبا الذكر، وذلك بوضع أيديهم على قبورهم وفيما يتعلق باستطلاع الغيب، فتتمثل طريقهم في أن الراغبين في ذلك يتوجهون إلى قبور أسلافهم ثم يصلون وينامون على القبور ويعتبرون كل أحلامهم وحيا يجب إتباعه »⁴.

وفي هذا المقام يجدر بنا التذكير أن هذه العادة لاتزال سارية المفعول، فمن عادات نساء الطوارق في الصحراء يذهبن نهارا إلى قبور قديمة وينمن عليها لمعرفة أخبار رجالهن الغائبين.

ومن العادات الأكثر بساطة لعبادة الموتى أو الجداد، تتمثل في الهبات والهدايا التي توضع خارج القبر ففي الغالب تقدم على قرب المذبح خاصة بذلك، مثل ما هو موجود في

¹ عادل بديرة، بادية المغرب الأوسط في العصر الوسيط (دراسة للواقع الاقتصادي والاجتماعي وتأثيرها على السلوك والذهنيات من القرن 4 إلى 7هـ / 10 إلى 13م)، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ وسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017م/2018م، ص 141.

² عبد المجيد أمريغ، عبد الهاد علي الفك، نور الدين أزيدات، "المعتقدات الدينية المحلية بالمغرب القديم"، مجلة ليكسوس، في التاريخ والعلوم الانسانية، المملكة المغربية، مارس، 2017م، ص 20.

³ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 23.

⁴ مصطفى أعشى، احاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)، الكتاب الرابع، الفقرة 172، ص 43.

القبور التلية لقم لرجام، الذي توجد به طاولات أو مذابح لتقديم القرابين، إعتقاداً منهم انها توطدو الروابط العائلية والجماعية بين من يرى أن الاهتمام بالميت ودفنه ليس دليلاً على تقديسه وعبادته ولكن خوفاً من رجوعه إلى عالم الأحياء¹.

كما أن اهتمام المغاربة الأوائل أكثر من غيرهم بأسلافهم الموتى سواء من خلال طريقة الجنازة والتجهيز والدفن، أو خلال ما يلي ذلك من تقديس لقبورهم وتشبيد لها، والرقود عندها ونسج الأساطير والقصص حول أرواح موتاهم والطواف بها والجلوس عندها والنوم بالقرب منها أو فوقها مباشرة ومعانقتها إلى حد مناداة أهلها للإستعانة بهم في فك المعضيات والقضايا الايومية التي يعيشونها².

وفي إشارة بعض الكتاب الكلاسيكيين، إلى أن عبادة الأجداد والأسلاف كانت شائعة بين الليبيين، فكانو يستطلعون الغيب عن طريق الاتصال بأرواح الأجداد.

كما أن عبادة الموتى تطورت بشكل قوي لدرجة الإقدام على بناء هياكل وأضرحة خاصة لدفن، بل يبدو أن هذه العبادة هي التي ستتطور فيها بعد إلى عبادة الملوك والزعماء في المغرب القديم مثل عبادة ماسينيسا من قبل النوميديين، حيث شيّدو معبد لعبادته، وقد تم ذلك بعد أن بدأ السكان يتمجيد روح الميت من خلال الزيارات والتجمع حوله.

وفي هذا المقام يجدر بنا التذكير بأن هذا الطقس لا يزال يمارس لدى البربر وعلى وجه الخصوص في الصحراء، حيث توجد أضرحة للتعبّد يمارس فيها طقوس النوم على قبور الأسلاف، إذ تسمع القبة الموجودة داخل كل تملوس للزائر بالاقتراب من صاحب القبر الموقر³.

ولقد أثرت المعتقدات الوثنية الموروثة التي كانت سائدة بين السكان قديماً في أفكار المغاربة، خاصة تلك التي تعلقت بطبيعة الإله أو مصير الإنسان وما ترتب عنها من ظاهرة

¹ عبد المجيد أمريغ، عبد الهادي فك، المرجع السابق، ص ص 23-24.

² عادل بديرة، المرجع السابق، ص ص 141-142.

³ غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر (ماسينيسا أو بدايات التاريخ)، تر: العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010م، ص 30.

تقديس السحر والكهنة ليظهر في شكل تقديس مشايخ الطرق الصوفية والزوايا وتقديس المرابطين وعبادة الأربطة وزيادة القبور، لكن هذا التقديس بعد وفاة الشيخ، وهو ما يفسر ترسخ فكرة التقرب إلى الأولياء الصالحين وزيارة قبورهم من أجل نيل البركة¹.

2- العادات المتعلقة بطقوس إستدرار المطر وطقوس الدفن:

2-1- عادات خاصة بطقوس إستدرار المطر:

إن فكرة طقوس إستدرار المطر والمعتقدات التي تدور حولها من حيث غضب الآلهة وعقابها لعبادها بالجفاف، لذلك وجب عليهم إظهار ضعفهم وخضوعهم أمام قوة تلك الآلهة وهنا يقومون بعبادات فكان على اناس ذلك العصر مقابل تهدئة غضب الآلهة أن يخرجوا في شكل جماعات إلى الهواء الطلق ثم يعبرون عن رغبتهم في استدرار المطر وذلك بسكب بعض المياه على التربة ثم لعقها وتعفير وجوههم بالوحد والتربة دليلا على مدى إحتياجهم للغيب².

وفي إشارة إلى هيروdot يذكر: « أن قبائل النسامون كانوا عندما لايجدون شيئا من السوائل يأخذون التربة من الأرض ويعلقونها »³، كما كانوا يخرجون في جماعات لأداء هذا الطقس في الهواء الطلق معبرين عن مدى إحتياجهم للغيث، وذلك بإظهار ضعفهم وخضوعهم اعتقادا منهم أن الجفاف كان عقابا لهم وغضبا من الآلهة.

وفي المقابل كانت عادات نسوة المجتمعات البشرية الموجودة حول بحيرة يتون بليبيا كن يخرجن إلى الأودية القريبة من التجمع ويستحمن في الهواء الطلق في الصباح الباكر ثم يستطعن اللهة لإستدرار المطر ويطلبن الإخصاب⁴.

¹ عادل بديرة، المرجع السابق، ص ص 141-142.

² محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص ص 12-13.

³ مصطفى اعشي، احاديث هيروdot عن الليبيين (الأمازيغ)، الكتاب الرابع، الفقرة 172، ص 43.

⁴ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص ص 12-16.

وفي وصف حفلات استدرار المطر التي تواصلت بالمنطقة المغاربية منها حفلة بوغنجة، حيث يذكر أنه عند حدوث الجفاف تجتمع العجائز لتحديد يوم الاحتفال (أنزر)¹. ففي اليوم المحدد تجتمع العجائز مرفقات بالأطفال يحملن ملاعق كبيرة مكسوة بالأقمشة والجلد²، حيث يتم الطواف بهذه المغرفة المكسوة بزبي عروس في موكب تشارك فيه النساء والأطفال يرددون الأهازيج والأدعية، ويطوفون عبر الدواوير والقرى والأضرحة، وفي الطريق يتم رش الدمية بالماء من أعالي البيوت، ويتم تحصيل واستلام العطايا والصدقات من الأهالي³، وأثناء السير يلحقن بهن أخريات ثم تقم لهم الأعطيات والهدايا من دقيق وزيت ولحم، ويتم تحضير الطعام عند مزار أو ضريح⁴.

وفي إشارة إلى أصل هذه العادة أن شخص باسم أنزار كان سيد المطر رغب في الزواج من فتاة في غاية الجمال والتي كان لها عادة الاستحمام في وادي، وعندما نزل رب المطر إلى الأرض واقترب منها خافت وهربت منه فانتقم منها، فجف الواد فجأة⁵.

ومن عادات الاحتفال في تاغنجا، تقوم سيدة مسنة من القرية تحظى بالهيبة والحب بين قومها بتزيين فتاة على أنها عروس أنزار وتسلمها مغرفة أغنجا، وطيلة مراحل الطواف تردد العروس صيغا وأهازيج منها: "أيا أنزار المغرفة بيست، إختقت علامات الخضرة، عروسك تتوسل إليك، أيا أنزار لأنها ترغب بك"، وخلال الجولة يتم رشها بالماء، ومنحها عطايا⁶، ويتوجه الموكب الذي يكبر بانضمام أعضاء آخرين خلال طوافه إلى احد الأضرحة والمزارات⁷.

¹ عبد الرحمان خليفة، المرجع السابق، ص 43.

² عبد المجيد أمرغ، عبد الهادي فك، المرجع السابق، ص 10.

³ محمد أوسوس، دراسات في الميثني الأمازيغي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007م، ص 07.

⁴ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 14.

⁵ عبد الرحمان خليفة، المرجع السابق، ص 44.

⁶ محمد أوسوس، المرجع السابق، ص ص 13-14.

⁷ عبد المجيد أمرغ، عبد الهادي فك، المرجع السابق، ص 10.

وفي المدار يتم تهيئة الطعام، وبعد ذلك تجرد المرأة المسنة العروس من ثيابها، وتلفها عارية بإحدى الشبكات المستخدمة لنقل ضمات السنايل للدلالة على أنه لم يعد هناك في الأرض لعشب أخضر، حيث تطوف الفتيات حول الضريح سبعة مرات وهي تمسك بالمغرفة في يدها، وهي تردد "يا أسياد الماء امنحوني الماء، إني أهب روعي لمن يريدتها"¹. ثم تتبع تلك الحفلة بلعبة العصي التي تسمى لعبة "شبرة"، حيث تتجمع الفتيات اللواتي هن سن الزواج حول الفتاة التي تقوم بدور خطيبة أنزار، ويبدأ يلعب بكره من الفلين أو عظم أو خشب أو صوف بمضارب وعصي، حيث يتم التنازل عليها حتى يتمكن أحد اللاعبين أو اللاعبات من إسقاطها في حفرة وتختم اللعبة بدفن الكرة حيث الحفرة، وتولي النساء أدرجهن إلى بيوتهن قبل غروب الشمس².

ومن عادات نساء قبيلة زمور إذ رغبن بانحباس المطرحين تهدد غزارته المحصول فإنهن يعمدن إلى ملئ جرن بالماء، وتغطيته بلوحة وموارته في التراب بعمق ضحل جدا، ثم يمررن طبقة خفيفة من الأرض فوقها ويضر من النار عليها ويعني هذا أن الأرض مرموزا إليها بالوعاء³.

وهناك أيضا طقوس سحرية دينية أخرى متعلقة بالمياه في المغرب القديم منها طقس الحمامات المقدسة لتجديد مبدأ الخصوبة، فلقد اعتقدوا انه يوجد أرواح بمنابع المياه، ولها قوة الشفاء من الأمراض، وإن هذه العادة كانت منتشرة بشكل كبير في شمال إفريقيا⁴.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى العديد من من الطقوس التي تعود جذورها إلى فترات سابقة للفتح الإسلامي للشمال الإفريقي، قد تداخلت في بعض المناطق مع الأعياد الإسلامية ومنها يوم عاشوراء، ففي مدينة فاس وجهات أخرى من المغرب الأقصى وتونس، تنتشر عادة الاستحمام فغي الحظة التي تسبق شروق الشمس، لن السكان يعتقدون أن كل قطرة من

¹ محمد أوسوس، المرجع السابق، ص 14.

² عبد المجيد أمرغ، عبد الهادي فك، المرجع السابق، ص 10.

³ محمد أوسوس، المرجع السابق، ص 15.

⁴ عبد المجيد أمرغ، عبد الهادي فك، المرجع السابق، ص 10-11.

قدراته فيها بركة وشفاء، فكثيرا ما يشاهد الأطفال والرجال والنساء يلطخ بعضهم الآخر بالطين من ذلك الماء، ويتم ذلك حول الآبار ووظائف المجاري¹.

وما يجدر ذكره في الأخير أن المرابطين دعوا إلى إيقاف ممارسة هذا الإحتفال بالصيغة التي سبق وصفها، فصار مقتصر على حمل الملعقة الكبيرة فقط.

2-2- عادات خاصة بطقوس الجنائز:

تمثل الطقوس الجنائزية مصدرا أساسيا لدراسة الجانب الديني بالمغرب القديم، ونقصد بالطقوس الجنائزية كل ما يدخل ضمن دائرة التعامل مع الأموات².

ولقد سمح التنقيب الأثري في المدافن بأنواعها المختلفة باكتشاف وضعيات وطرق عديدة دفن بها المغاربة القدماء موتاهم³، فكان من عادات سكان المغرب القديم عدم إلتزام قاعدة محددة لوضع الجثة في المدفن⁴، ومن عادات الدفن عند البربر أهمها:

أ- **الوضعية الممددة:** حيث يتم تمديد الميت على جانبه الأيمن أو الأيسر أو ظهره، وتعتبر هذه الوضعية الأقل انتشارا، ويكثر تواجدها في تونس وشرق الجزائر⁵، ويكون وجه الميت في بعض الحالات نحو الشرق، وقد يوجه نحو الغرب، كما كانت أرجل تلك الجثة قد طويت، ووجدت هناك صخور مبلطة تحمي رؤوس وصدور الجثث⁶.

ب- **الوضعية المنطوية:** يتم دفن الميت على هيئة الجنين أو الدفن الرحيمي، حيث توضع جثة الميت على جانبه "الأيمن أو الأيسر وتكون مطوية بحيث لاتلامس الركبتان البطن واليدان ولاتلامسان الوجه ووجدت هذه الممارسة في مدافن أرفود وسيدي مسعود⁷.

¹ عبد الرحمان خلفه، المرجع السابق، ص 49.

² المرجع نفسه، ص 53.

³ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 42.

⁴ محمد بن عبد المؤمن، عقائد ما بعد الموت عند سكان بلاد المغرب القديم، رسالة الدكتوراه، تخصص تاريخ قديم، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والحضارية والإسلامية، جامعة وهران، 2011م/2012م، ص 112.

⁵ عبد الرحمان خلفه، المرجع السابق، ص 54.

⁶ محمد صغير غانم، المرجع السابق، ص 43.

⁷ عبد المجيد أمريغ عبد الهادي فك، المرجع السابق، ص 22.

ويخبرنا هيرودوت في هذا الصدد: <>من عادات الرجل أنهم يدفنون أمواتهم كالإغريق باستثناء التاسمونييين الذين يدفنون موتاهم جالسين فهم يحرصون على أن يكون الشخص جالسا حينما يسلم الروح فلا يموت ممددا على ظهره>>¹.

كما توجد عادة الدفن الجماعي الأسري اعتقادا منهم أن الصلة لا تنقطع بالموت بين الشخص والخلية الاجتماعية التي ينتمي إليها وهي الأسرة حتى وهو في العالم الآخر، وعليه يتضح أن الدفن في حد ذاته له دلالات ذهنية معينة².

كما جرت العادة عند البربر أيضا، أنهم كانوا في غالب يدفنون أمواتهم الكثيرين في قبر واحد بعد أن يطوهم أو يجردونهم من لحومهم ويخلطون عظامهم³، وأيضا من العادات التي يمارسونها المغاربة القدماء حرق الجثث⁴ التي كانت تقام خارج المدينة، فبعد إخماد النيران المحطبة ترمى حفنة من التراب على رماد الميت كرمز للدفن⁵، ويقال أنهم أخذوها عن القرطاجيين واليونان⁶، وعلى غرار هذا فبعض المؤرخين ينفون هذا الرأي ويقولون أن هذا الطقس لا علاقة له بالحضارة البونيقية والرومانية⁷.

كما تجدر الإشارة إلى أن سكان المغرب القديم كانوا يدفنون بطريقة جماعية في الحرب، فتوضع الجثث في حفرة كبيرة في أسفل الصخرة أو تجمع العظام في جرة كبيرة، ومن القبائل البربرية التي اتخذت طريقة الدفن الجماعي التيحنو والليبيون والنوميديون⁸. ومن العادات المتداولة عند البربر أيضا في طقوس الجنائز، ماورد في المنطقة الوهرانية والمغرب الشرقي، حيث يوجد طقس مميز يتمثل في إيداع أسلحة في المدفن، ويقال أن

¹ هيرودوت، التواريخ، الكتاب الرابع، الفقرة 190، نصوص ليبية، ص 88.

² عبد المجيد أمرغ، عبد الهادي فك، المرجع السابق، ص 23.

³ شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية من البدء إلى الفتح الإسلامي، 647م، ج1، تع محمد مزالي، البشير بن سلامة، مؤسسة تاوالت الثقافية، 19س68م، ص 67.

⁴ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 44.

⁵ محمد بن محمد عبد المؤمن، المرجع السابق، ص 214.

⁶ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 66.

⁷ غابريا كامبس، المرجع السابق، ص 176.

⁸ مها عيساوي، المرجع السابق، ص 320.

أصل هذه العادة من الجنوب كما يوجد طقس وضع قطعة أو عدة قطع من النقود في القبر وإذا كان أصله إفريقيا وقلدهم في ذلك النوميدي¹.

ويتم أيضا وضع أقذاح بين أيدي الموتى وتزويدهم بالحلي وبكل الأشياء التي كانوا بحاجة إليها أثناء حياتهم، فبعد انتهاء شعائر الدفن يقوم أهل الميت والمرافقين للموكب الجنائزي بالدعاء لروح الميت بالحياة السعيدة في العالم الآخر، وجرت العادة مع نهاية المراسم الجنائزية، أن تتنادي روح الميت ثلاث مرات بإسمه، ثم التمني لها أن تعيش حياة سعيدة تحت الثرى، كما كانوا يتباهون بتحضير قبورهم أثناء حياتهم، ولم يتأخر أهل الميت في دفن موتاهم ومرافقتهم بالأثاث الجنائزي وتقديم مختلف القرابين².

ومن العادات الممارسة في الدفن أيضا، طقوس طلاء الجثث باللون الأحمر، حيث يعتبر صبغ العظام بالمغرة من الممارسات الشائعة عند المغاربة القدماء³، فكانوا يقومون برش عظام الأموات وطلاء قبورهم والأثاث الجنائزية، كما وضعت في أوان فخارية خاصة بداخل القبور لتمكن الميت من تلوين نفسه⁴، ولقد تم العثور على بقايا جثث عليها آثار تلوين أحمر في مغارة تافورغالت، كما استعمل في الحصول على اللون الأحمر مواد داخل قواقع الحلزون باستعمال الطين الأحمر، أو بقايا أكسيد الحديد⁵، وإن طلاء الجثث بالأحمر يدل في اعتقادهم على استمرار سريان الدماء فيها وفي رأيهم أنه كلما قاومت الجثة عوامل الإضمحلال كلما شعر الأحياء بالسعادة واستمر استخدامه لمدة طويلة وهذا يؤكد أصله المحلي⁶.

وإن الملاحظة الأساسية التي سجلناها في مجال المعتقد الديني هي ظاهرة التبرك بالأجداد التي لاتزال قائمة لحد الآن، أما في مجال عادات الدفن فقد ظلت بعض العادات

¹ غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 169-176.

² محمد عبد المؤمن، المرجع السابق، ص 214-218.

³ عبد المجيد أمريغ، عبد الهادي فك، المرجع السابق، ص 22.

⁴ مها عيساوي، المرجع السابق، ص 320.

⁵ عبد المجيد أمريغ، عبد الهادي فك، المرجع السابق، ص 22.

⁶ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 44.

قائمة مثل وضع السكين في جسد المتوفي، وكساؤه برداء أحمر، والطواف بالجنّة قبل إخراجها من البيت، وكذا الدفن في المقابر العائلية ثم تزويد القبر بحفرة للسوائل، وهي كلها ممارسات ثبت القيام بها في الأضرحة والجنائز ببلاد المغرب القديم من خلال الأثاث الجنائزية الذي عثر عليها في تلك الأضرحة¹.

كما تجدر الإشارة إلى اهتمام الإنسان المغربي بالمدافن ومقابر موتاهم والعناية التي يوجهها لدفن موتاه، والجهود التي كان يبذلها من أجل تهية وإنشاء المدافن وما يصاحبها من طقوس واحتفالات وتقاليد خاصة بنقل الميت من عالم الأحياء إلى عالم الأموات²، وفي هذا المقام وجب ذكر بعض أنواع المقابر والمدافن المنتشرة في المغرب القديم وأهمها: المقابر الركامية الكبرى الغير منتشرة في كل المغرب والمقتصرة على منطقة الشمال الغربية كما انها موجودة بعدد معتبر في البربرية الشرقية، وهناك نمط آخر من المدافن يميز منطقة جنوب الريف ويمتد إلى الناحية الوهرانية وهو القبور البئرية.

كما جرت العادة عند بعض البربر دفن موتاهم في قمم الجبال المجاورة لهم³، كما دفنوا موتاهم أيضا داخل الكهوف التي كانت في نفس الوقت مسكنا لهم مثل مدفن كهوف تافوغالت، كما استعملوا المدافن الدائرية، ثم تطورت المدافن بعد ذلك إلى القبور التلية، وهي القبور التي يعلوها كوم من التراب أو من الطين أو الحجارة، كما توجد أيضا القبور الأسطوانية الشكل والتي تنتشر في مناطق متعددة من المغرب⁴.

كما حفروا الصخور قبرا مربعة مدخلها عمودي شبيهة بالمسكن تسمى الحوانيت محددة المساحة عادة وفيها يضعون موتاهم⁵.

¹ مها عيساوي، المرجع السابق، ص 284.

² عبد المجيد أمرغ، عبد الهادي فك، المرجع السابق، ص ص 21-22.

³ غاتبريال كامبس، المرجع السابق، ص 143-166.

⁴ عبد المجيد أمرغ، عبد الهادي فك، المرجع السابق، ص ص 19-20.

⁵ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 66.

ثانيا: العادات والتقاليد الشعبية.

1- عادات خاصة بالطعام والمشرب والملبس والمسكن:

1-1- المأكل والمشرب الخاص بالبربر:

إن المأكولات التي كان البربر يتناولونها في ذلك الوقت، وإن كانت في العادة من المنتوجات الزراعية والحيوانية تخط بكيفيات متعددة، وتحظر بأوجه مختلفة، فنتج مأكولات متنوعة، وهذا لا يمنع من ذكر بعض المأكولات الخاصة بالبربر¹.

إذ يذكر هيروdot عن بعض القبائل الليبية خلال القرن 5 ق م ومنهم النسامون بأنه قد جرت العادة أنهم في الصيف يتركون قطعانهم ترعى عند ساحل البحر ويتوجهون إلى الداخل نحو منطقة تدعى أوجيلة لحني الثمر ويقوم الناسمونيون باصطياد الجراد وتجفيفه تحت أشعة الشمس ثم يطحنونه طحنا دقيقا ويصبونه في الحليب ويتغذون من هذا المزيج²، كما كانت هناك تجمعات سكانية وقبائل ليبية أخرى تأكل القردة³، ويظهر ذلك في إشارة هيروdot عن الجيرانت، سكان ليبيا الغربية الذين يأكلون القردة التي تعيش في الجبال المحيطة بهم، كما أشار أيضا إلى عادة اللوطافاجيون أنهم يعيشون على ثمرة اللوتس فقط، وهي فاكهة في حجم التوت البري ولها مذاق حلاوته تذكر بحلاوة التمر، ولايكتفي اللوطافاجيون بأكل اللوتس بل يصنعون منه نبيذا، كما ذكر عن الأثيوبيون اللذين يقتاتون على الأفاعي والسحالي وغيرها من الزواحف⁴.

أما صاحب كتاب وصف إفريقيا، فيذكر عن عادة أكل النوميديين والمتمثل في لحم الجمال والغنم والنعامات، ويأكلونها مشوية أو مطبوخة، ويضعون اللحم على طاولة شرائح مفوهة متبلة بالأعشاب وبكمية كبيرة من توابل أرض السودان، كما يأكلون الخبز المعجون

¹ جودت عبد الكريم يوسف، الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع هجري (9-10م) (د.م.ج)، بن عكنون، الجزائر، (د.ت)، ص 323.

² مسطفي اعشي/ أحاديث هيروdot عن الليبيين (الأمازيغ)، الكتاب الرابع، الفقرة 172، ص 43.

³ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 59.

⁴ مصطفى اعشي، احاديث هيروdot عن الليبيين (الأمازيغ)، الكتاب الرابع، الفقرات 177 و183 و193، ص 51-

من خالص دقيق الذرة، ويأكلون التمر مع اللبن، كما جرت عادة أكل اللحم ويشربون اللبن ولا يتناولون الخبز إلا في أيام الأعياد فقط¹.

كما قال الوزان أيضا عن شعوب نوميدية: « فإن من يراهم لا يصدق مدى صبرهم على الجوع ليس من عاداتهم أن يأكلوا الخبز ولا أي طعام مطبوخ ويقتاتون بلبن نوقهم، تعودوا أن يشربوا في الصباح من إناء كبير من اللبن الساخن فور ما يجلب، وأن يتعشوا في المساء بالقديد المطبوخ في اللبن المدهون بالسمن، فإذا نضج اللحم تناول كل واحد نصيبه بيده واكله ثم شرب المرق مستعملا يده كالمعلقة، وحسا أخيرا فنجانا من اللبن»².

وهي إشارة إلى أن قبائل الصحراء كان عيشهم من اللحم واللبن، فيأكلون صفيق اللحم الجاف مطحون يصب عليه الشحم المذاب أو السمن وشربهم اللبن³.

كما جرت العادة عند البربر أكل التمر، ومثال ذلك اليببون اللذين يستفيدون من تمر كغذاء لهم⁴، ويصنعون من التمر نبيذ النخيل، المعروف باسم اللاقمي وكان أهل الجنوب يشربونه⁵.

ولقد كان سكان أفريقيا الأوائل يتغذون على النباتات البرية، التي تتولى النساء وصغار الرعاة في كل من أفريقيا الشمالية جمعها، وهي تلعب دورا باعتبارها مادة غذائية داعمة كالخضر وبراعم الخرشف البري والكبار والهندباء البرية، خس النعجة والجرجير وحتى الشمرة وحتى الفرفحين وهي مطلوبة كثيرا، تضاف إليها بعض البذور والتوابل كالنعنع والخزامي والأرطماسية... الخ، ولقد اتخذوا أسلاف البربر أنواع عديدة من النباتات البرية مادة

¹ الحسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ص 60.

² المصدر نفسه، ص 58.

³ جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 325.

⁴ عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ البيبي القديم (من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي)، ج 1، أعده للنشر تامغناست، طرابلس، 1967م، ص 130.

⁵ عادل بديرة، المرجع السابق، ص 121.

غذائية داعمة لأنواع المزروعات عندهم¹، التي تعتبر غذائهم الأساسي والمتمثلة في القمح والشعير والزيتون، كما كانوا يفضلون البقول كالفول والبازيلاء والحمص والعدس... الخ².

وكان من عادة البربر أكل رقاق الخبز وفطائر الدقيق، وإن الرقاق (الكسرة) يكون الإعداد الأساسي في المطبخ، ولا يزال يمثل أساس الغذاء عند سكان أفريقيا الشمالية³.

كما جرت عادة بعض العائلات بتناول الخبز والتمر أو الخبز والزيت، بل كان بعض الفقراء يكتفون بشيء من دقيق الشعير يلبث بالزيت فيأكلونه، أو بخبزة وسمن وقليل من الملح، ومنهم من يغمس الخبز بالماء ثم الملح فيتناوله⁴.

أم سكان أرياف الشمال الإفريقي فكانت من عاداتهم تناول الكثير من عجائن الحبوب المعدة بطريقة متعددة ولكن مع بهارات كثيرة ويبدو أن البدو أدخلوا "قلي" بذور القمح والشعير⁵.

وفي هذا الصدد يجب علينا ذكر بعض الأطباق التقليدية التي يعرف بها سكان شمال إفريقيا منذ القدم وأهمها:

1- **أكلة الثريد:** الذي كان دون شك من الأطعمة الرئيسية لسكان المنطقة ويحضر بطريقة بسيطة تعتمد⁶، الخبز المفتت في المرقعة ويثرد في الزيت أو بالزبد كذلك، أو بمرق الدجاج أو بلحم الخروف، وتتم عملية الثريد بلحوم الخروف والزيت أو يثرد باللبن ويضاف إليه السمن أو الزبد ويؤكل الثريد عادة في إناء يدعى الجفنة⁷.

¹ غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 106.

² محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 49.

³ غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 128.

⁴ جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 324.

⁵ غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 129.

⁶ رضا بن النية، صنهاجة المغرب الأوسط (من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر 880-699م/362هـ-

973م)، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ وسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري

قسنطينة، 2005م/2006م، ص 129.

⁷ جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 323.

2- أكلة الدشيشي أو الفريك: فقد كان يصنع الفريك المطحون طحنا خشنا، وغالبا ما يطهى باللحم وهي أكلة مازالت منتشرة بين سكان المنطقة¹، والدشيش هو شوربة مصنوعة بالشعير المدشش، وأحيانا يطبخ بالتمر.

3- أكلة البسيس: يصنع بسميد الشعير والزيت والماء، ويذكر عن الكاهنة أنها عمدت إلى دقيق الشعير فلفته بزيت، ولقد كانت هذه الأكلة واسعة الانتشار².

4- أكلة السويق: يصنعها البربر من دقيق الشعير والقمح، حيث يقلون الشعير أو القمح فيخلطون بدقيقه الزيت أو السمن، ولقد كان زادهم في الأسفار ومقدمة قريهم للضيوف، وقد تطور السويق في المغرب فصار يحلى بالسكر أو بالتمر، ويخلط به دقيق أحيانا ولا يزال السويق المحلي موجودا في أنحاء المغرب سيما في وادي ميزاب وإنه من أطعمة أجدادنا البربر، وهو موجود عند العرب أيضا³.

5- أكلة العصيدة: وهي من الدقيق يصب فيها الماء، ويحرك مكونه حتى ينضج، ثم يصبون عليه مرق الزيت واللحم والبقول، ولا تزال العصيدة سائدة في أنحاء من جنوب إفريقية وفي طرابلس سيما في جبال نفوسة، وأحسن عصيدة عند البربر ما أتخذ من دقيق الشعير⁴ كما كانوا يضيفون لها بعد طهيها العسل⁵، وهذه الأكلة من أقدم الأطباق، الدليل على ذلك أكلها دون غيرها في بعض المناسبات الاحتفالية وذات الوجبة تقدم للجميع عشية الإنتهاء من مراسم الدفن⁶.

6- أكلة الكسكس: هو الطعام المفضل لسكان شمال إفريقيا والطعام القومي الأمازيغي منذ آلاف السنين، كما كان أكلة الوجهاء وطعام الاحتفالات والضيوف، والصدقات والعطايا والقرايين بامتياز، بحيث صار رمز للرخاء والرفاهية والخصوبة بالنظر إلى كثرة حبوبه

¹ رضا بن النية، المرجع السابق، ص 129.

² جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 324.

³ محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 49.

⁴ المرجع نفسه، ص 50.

⁵ رضا بن النية، المرجع السابق، ص 130.

⁶ غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 129.

ووفرتها، خصوصا في النوع المعروف منه ببيركوس¹، ولقد كان البربر يصنعون الكسكس من القمح أو الشعير ويجعلوه مرقة الحليب والسمن، وربما كان مرقة من اللحم وبعض البقول التي يزرعونها²، وفي إشارة إلى عادة اتبعت من طرف البربر والمتمثلة في رش الكسكس بحليب النساء المنحدرات من مختلف القبائل وهذه العادة تسمى بميثاق تاضا الهادف إلى التحالف³.

أما أصناف اللحوم التي إعتادوا على تناولها، وهي لحم البقر والماعز والإبل والسمنك وبعض الطيور⁴، كما جرت العادة عندهم تناول لحم الدجاج بالزيتون، والبسار وهو الفول المطبوخ في البن والسمن، والسلق المطبوخ بالحمص والجزر أو الفول والخبر المسقي بشورية البقول، كما عرف السكان أنواعا مختلفة من الحلويات منها المسمن والفطائر التي تصنع من بيض واللوز والتين المجفف والعسل والزيت والتمر والزبدة، كما كان من تقاليدهم أيضا اكلة الزلابية والقطايف والكنافة... الخ⁵.

كما عرف البربر أصناف الفواكه التي كانت تزين مواعدهم، نذكر منها التفاح والخوخ والتين والمشمش والسفرجل، ولقد كان من عادة أهل البدو ان يحفظوا ما يحتاجون إليه من مأكولات وثمار لسنة كاملة، منها التين والعنب ويحتفظون بالرمان في أماكن خاصة إلى أوائل الربيع⁶، كما انتشرت بينهم عادة تخزين اللحم عن طريق إضافة الملح وتجفيفها لتصبح تسمى القديد⁷.

¹ محمد أوسوس، المرجع السابق، ص 88.

² محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 49.

³ محمد أوسوس، المرجع السابق، ص 88.

⁴ عادل بديرة، المرجع السابق، ص 122.

⁵ جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 324.

⁶ عادل بديرة، المرجع السابق، ص 122.

⁷ رضا النية، المرجع السابق، ص 130.

ولقد وجب الإشارة إلى تقليد المغاربة فيما يخص وجبات الطعام اليومية مثل: تناول اللبن مع بعض الفطائر في الصباح، وفي العشاء يتناولون الأطعمة الدسمة واللحوم والحساء¹.

أما بخصوص المشروبات اعتاد البربر شربها، والتي كان يؤخذو بعضها من النباتات الطبيعية النافعة ومنها: شرب يصنع من قشور عروق النافع ومن قشور عروق الكرفس وقشور عروق الهنديا والنعنع والحبق وقرنفل...الخ²، ومن المشروبات أيضا حبة حلاوة ونانوخة وشراب من زريعة الكرفس وزريعة الورد والزنجبيل والقرنفل وشراب الاجلاب...الخ. كما تناول البربر الحليب واللبن كمشروب أساسي في كل وجباتهم، بالإضافة³، بالإضافة إلى شرب البربر لمطبوخ العنب ومطبوخ الزبيب ونبيد العسل، كما كانوا يشربون النبيذ الذي كان يستخرج من الحنطة والشعير والذرة، ومن بعض الفواكه كالعنب والتمر وغيرها⁴.

1-2- الملابس والمسكن:

أ- الملابس:

لجأ الإنسان منذ القدم إلى تغطية جسمه، فارتدى ألبسة مختلفة ومتنوعة حسب النمط المعيشي السائد حتى أصبح مظهرا إعتياديا⁵. وفي هذا المقام وجب الإشارة إلى لباس عموم قداماء البربر، الذي كان عبارة عن قطعة قماش مستطيلة يلف بها الجسم⁶، حيث يتم عقد قرنتاها العلويتان المستطيلتان على الصدر

¹ مسعود خالدي، "أثر العربية والبربرية على الحياة الاجتماعية في السودان الأوسط والمغربي بين القرنين 5-10هـ/11-16م"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قلمة 8 ماي 1945، ص 185.

² جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 326.

³ عادل بديرة، المرجع السابق، ص 121.

⁴ جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 327.

⁵ عادل بديرة، المرجع السابق، ص 122.

⁶ غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 134.

وهناك نوع آخر معقد من هذه العباءات كان له كم قصير وكان يشبك على كتف واحد فقط، وكانت هذه العباءة مفتوحة من المقدمة من أعلى إلى أسفل¹، ويرتدون تحتها جراب العورة². كما كانت العباءات تتزين في بعض الحالات بأشكال ملونة أو بخياطة قطع عليها من قماش مخالف، ولقد كان الليبيون يعتمدون الجلد أكثر من غيره مادة للباس، واتخذوا منها الأحزمة الجلدية، كما كانت نسائهم يتخذنا ملابسهن من جلود الماعز³، وفي إشارة إلى هيرودوت في هذا الجانب نجده يقول: «ان ملابس الليبيين مصنوعة من الجلد وان الأهداب المدلاة من الذراع ليست ثعابين ولكنها عبارة عن سيور جلد الحيوان... والليبيات يضعن فوق ملابسهن جلود ماعز من الشعر محاط بأهداب باللون الأحمر»⁴.

أما بخصوص لباس التحنو وهي إحدى قبائل الليبية المشرقيين المجاورة لمصر، فنجد بعض النقوش العائدة لفترة حكم الملك ستغ الأول، تصورهم في لوحات عدة، فأمكن أخذ نظرة عن ملابسهم في ذلك الوقت، فقد كانت تتألف ملابسهم من شريطين عريضين من الجلد يتقاطعان على الصدر، وطوق عريض حول الرقبة تتدلى منه بعض الأشرطة وحزام مزين بخطوط أفقية على جانبه غمد جليدي وينتهي من الأمام بجراب ستر العورة ويتحلى الرجل بذيل حيوان، أما التحنو فكان لباسهم يتألف من ستائر للعورة أو وزرة تلف الخصر، وكذلك عباءة مصنوعة من جلود الحيوانات⁵.

¹ عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 97.

² أم الخير العقون، "من مصادر تاريخ المغرب القديم، الرسوم الصخرية والآثار المصرية"، مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، 2016م، ص 09.

³ عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص ص 97-98.

⁴ مصطفى اغشي، أحاديث عن البيبين (الأمازيغ)، الكتاب الرابع، الفقرة 189، ص 74.

⁵ علي مؤمن إدريس مؤمن، "المظاهر الحضارية للمجتمع الليبي القديم، المجلة الليبية العالمية"، ع 27، جامعة بنغازي، كلية التربية، المرح 2-9 - 2017م، ص 09.

كما وجب الإشارة إلى بعض البربر الذين يرتدون جلود الحيوانات مثبتة على كتف وادة، أي بنفس الطريقة التي كان يتبعها الليبيون في ارتداء عباءاتهم¹، إذ أن التمحو إرتدوا عباءات واسعة من الجلد تغطي الكتف اليمنى وجزء من أعلى الذراع، وتزين بالألوان.

أما النساء فيلبسن أثوابا مزركشة ومعقودة في الوسط، وبخصوص لباس الليبو فهم يختلفون كثيرا في لباسهم عن التمحو إلا بالقميص الذي يلبس تحت العباءة الواسعة ويعلو الركبة، ويصنعون ريش بدل ريشة واحدة ووشموا أذرعهم وسيقانهم أيضا².

كما أن زعماء الليبيون كانوا يتزينون بريش النعام مغروسة في شعورهم³، وينتعلون النعال الخفيفة ويتحلون بالأقراط والأساور والقلائد⁴، ولقد كانت النساء يرتدين نفس الذيل⁵، وفي إشارة إلى النوميديون فكانوا يرتدون الملابس الجلدية أسوة بأسلافهم اللوبيين، كما ارتدوا الملابس المنسوخة التي عرفوها بفعل إحتكاكهم بالعام الفينيقي⁶.

أما أجدادنا البربر فكانوا يلبسون القشابية المعروفة عندنا في المغرب إلى هذا العهد، وهي أحسن لباس في الشتاء تستر الجسم كله حتى الرأس، ويلبس تحت القشابية القميص والجبنة، كما كان من عادة البربر لباس السراويل القصيرة التي تنتهي أسفل الركبة، والطويلة التي تصل إلى الكعبين، والنوع الأول لازال موجود في تونس والنوع الثاني لايزال إلى اليوم في طرابلس ويلبسونه بالتكة⁷.

ويضيف المقدسي أن عامة السكان من البربر هم الذين عبر عنهم بالسوقة كانوا يلبسون المناديل، وهو لباس صوفي يغطي الراس ويتدلى على الكتفين والظهر، ولبسوا الجبنة وهي في العادة من الصوف، ولبسوا القلنسوة، وهي قلنسوة طويلة دقيقة⁸، ويلبس فوقها لحاف

¹ أم الخير العقون، المرجع السابق، ص 97.

² مها عيساوي، المرجع السابق، ص ص 105-106.

³ غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 134.

⁴ مها عيساوي، المرجع السابق، ص 120.

⁵ علي مؤمن، إدريس مؤمن، المرجع السابق، ص 09.

⁶ مها عيساوي، المرجع السابق، ص 30.

⁷ محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص ص 46-47.

⁸ جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص ص 330-331.

صغير من الصوف رهيف ينسج خصوصا للرأس، أو يلبس فوقها حائك رقيق، ويشد من فوق بعمامة سوداء تتخذ من خيوط الوبر، والقنور هو لباس أجدادنا البربر في المحافل وفي الأعياد وفي أيام الزينة وهو لباسهم إذا ركبوا الخيل للسباق واحتفلوا بألعاب الخيل في الأعراس ولايزال القنور إلى اليوم في الجزائر¹.

أما صاحب كتاب وصف إفريقيا فيقول في هذا المقام: «أن لباس البربر يتركب من عباءة ضيقة من الصوف الخشن ويضع كل واحد منهم على رأسه أو يلف حول وجهه قطعة من النسيج الأسود على شكل عمامة، ويتميز الأعيان والأشراف عن غيرهم بقميص طويل عريض الأكمام من القطن الأزرق»².

كما لبسوا الفرو، إضافة إلى الألبسة والجباب واستعملوا أيضا الشاشية لباسا على الرأس، وليست النساء المعجز هو ثوب تشده المرأة على رأسها³، ولبس البربر أيضا الأحذية التي يتخذونها من الجلد، وأحذيتهم منها المدورة التي تستر القدم وحدها مثل حذاء البابونج، ومنه الحذاء الموصول بما يستر الساق إلى الركبة ويلبسون جوارب يتخذوها من الجلد والصوف سيما أيام تحضرهم⁴.

أما سكان الصحراء فكانوا يتلثمون بعمائمهم سنة فيهم، وأضاف البكري أن جميع قبائل الصحراء يلزمون النقاب، وهو فوق اللثام حتى لايبذو منه إلا محاجر عينيه⁵.

كما ان سكان المغرب يلبسون البرنس، وهو ثوب من الصوف يلبس فوق الثياب، وينسج قطعة واحدة ويترك مفتوحا من الأمام، ولايخاط منه إلا ما يقابل الصدر ليشده إلى الجسم، وللبرنس غطاء رأس موصول به من خلف، والبرنس لونين الأسود والبني⁶، ولكن

¹ محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص ص 47-48.

² الحسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ص ص 57-58.

³ جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص ص 331-332.

⁴ محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 48.

⁵ جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 332.

⁶ محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 47.

خشونة ملمس الصوف تجعل البربري يضع تحته أزرار من كتان أو القطن¹، ومازال إلى يومنا هذا يشترك السكان معظمهم في أقطار المغرب العربي في لباس البرنوس، وإن اختلفت أطواله وطرق لبسه وحتى تسميته².

وما يمكن ملاحظته في هذا المقام، تمسك البربر بعباداتهم سيما في اللباس الذي يوحي به الجو الطبيعي الذي يكتنفهم، وهو ما لا يتغير كثيرا بتقدم الزمان، كما تمسكوا أيضا مع اللغة البربرية بكثير من تقاليد أجدادنا البربر القدماء، ولقد جرت العادة عند البربر أنهم ينسجون ملابسهم ومساكنهم من الصوف حيث برعوا في نسج ثيابهم الضرورية كالبرنس والقشاييات، والجيب والدرثر وفراشهم والأغطية والستائر، وهذا ما أشار إليها ابن خلدون حيث قال: « أكثر أثاثهم من الصوف »³.

ب- المسكن:

لقد كان سكان المغرب يسكنون في منازل مختلفة حسب المناطق والبيئات، وحسب نشاطهم ونمط معيشتهم.

كانت المساكن الأولى لقدماء المغاربة أكواخا من أغصان الأشجار، وكهوف طبيعية حيث وجدت آثارها بالجزائر مثلا في كلا من: حدود العاصمة، وهران وقرب سعيدة، وفي القبائل، ثم تحولت تلك الأكواخ إلى بناية من الطين والحجر⁴.

إذ أن ابن خلدون يصف لنا أحوال البربر فيقول: « يتخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الخوص والشجر ومن الشعر والوبر »⁵.

¹ موسى رحمانى، الأوراس في العصر الوسيط من الفتح الإسلامي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر 362/27هـ/637-972م، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ المجتمع المغربي، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006م/2007م، ص 171.

² أم الخير عقون، المرجع السابق، ص 97.

³ ابن خلدون، ج06، المصدر السابق، ص 116.

⁴ أسماء حجاب، حفيظة لعياضي، المرجع السابق، ص 196.

⁵ عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص 116.

ففي أول عهدهم اتخذت مساكنهم من أخشاب مركبة بكيفية وقتية ليسهل عليهم نقلها عن السير، كما كانت لهم عربات تحمل هذه المنازل تجرها الخيول¹، ولقد كان هناك بربر يسكنون تحت الخيام وآخرون يسكنون في الديار²، فكان البربر يتخذون بيوتهم أو بينونها على حساب طبيعة المكان، فأهل الجبال حيث تتراكم الثلوج وتكثر الأمطار، كانوا بينون بيوتهم بالحجارة ويسقفونها بالطين في شكل بيضوي يمنع تراكم الثلوج وتجمع الأمطار، ثم اهتموا بعد ذلك إلى القرميد فسقفوا بيوتهم³، على عكس أسقف المنازل السهلية التي غطت بخص الأشجار والأخشاب، وكانت في معظمها هشة الأساس لم تصمد طويلا أمام تقادم الزمن⁴، أما أهل الجنوب حيث الجفاف في الجو وقلة في الأمطار فيبينونها بالطوب ويسقفونها بخشب الأشجار وغيرها من ضروب النباتات⁵.

كما ان الكهوف والمغارات الطبيعية في المرتفعات الجبلية اعتبرت مقرات لتجمعات سكانية للبربر⁶، ومنهم من ينقرون ديارهم في الجبال، ويحفرون فيها أمتارا تكون دارا بسقفها العالي وبكل مرفقتها ونوافذها التي تجدد الهواء وترسل الضوء، وإن هذه الديار الجبلية في أعماق الصخور الصلدة أصح للأجسام لبعدها عن النداء، وأسلمها عند الأغارات لأنها لاتهدم ولاتخرب.

كما انها تدل على قوة البربر وعزائمهم الجبارة، ومثال على هذه الديار في جبال نفوسة وفي جبال تونس، وفي جبال الأوراس وجبال القبائل بيوت من هذا النوع البربري⁷.

¹ أسماء حجاب، حفيظة لعياضي، المرجع السابق، ص 196.

² مارمول كاربخال، المرجع السابق، ص 90.

³ محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 45.

⁴ رضا النية، المرجع السابق، ص 127.

⁵ محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 45.

⁶ مها عيساوي، المرجع السابق، ص 75.

⁷ محمد دبوز علي، المرجع السابق، ص 46.

أما نمط السكن عند بربر البدو والرحل فكانوا يسكنون الخيمة¹، التي تصنع من نسيج الألياف الخشنة التي تثبت بين جذوع النخل²، وينسجونها أيضا من أشعار الحيوانات وأوبارها مثل وبر الإبل، يحملونها إلى المناطق التي يرتادونها، ولم يعرف هذا فيهم إلا بعد الفتح العربي³، وهم بالتالي كثيري الشبه بالعرب في صحرائهم قبل أن ينغمسوا في مباحج المدينة والحضارة⁴.

كما أن أهل البادية اتخذوا من الأكواخ مسكن لهم، والمصنوع من الحجارة والطين المجفف أو من أغصان الأشجار⁵.

كما وجب الإشارة إلى أن للبربر طريقة عجيبة في البناء تقاوم الحر والبرد وتجعل الدار على الاعتدال في الجو، وفيها الاقتصاد كذلك في تكاليف البناء، وذلك لأنهم يبنون جدارين متوازيين، فيملؤون ما بينهما بالحصى فيصير جدار واحد مرصوصا، حيث صاروا يبنون الديار العالية ويؤثرون الجدران العريضة للبيوت⁶.

كما وجب الإشارة أيضا أن البربر يختارون في الغالب الأماكن المرتفعة لبناء القلاع والأبراج التي تختص لحفظ الذخائر من السلب والنهب، ثم أصبحت بيوتهم تظهر في شكل مربع، حيث كانت الغرف تشيد على الجوانب الأربعة، ويترك وسط الدار معرض للهواء الطلق، ثم تطور وتحسن نتيجة إحتكاك السكان لعناصر طارئة من حضارات عديدة⁷.

¹ عادل بديرة، المرجع السابق، ص 124.

² الحسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ص 58.

³ عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص 42.

⁴ موسى رحمانى، المرجع السابق، ص 171.

⁵ عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص 42.

⁶ محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 46.

⁷ أسماء حجاب، حفيظة لعياضي، المرجع السابق، ص 196.

2- عادات خاصة بالمرأة والمجتمع:

2-1- عادات متعلقة بالمرأة:

لقد لعبت المرأة البربرية دورا محوريا في أسرهن ومجتمعاتهن، إذ أن ثقافة المرأة البربرية موروثة عن الأجداد ومتعددة الجوانب، فكانت المرأة محترمة تتمتع بكل حقوقها في المجتمع البربري، وكان الرجل يراها ساعده الأيمن، كما أنها قاعدة قوية للأسرة، وفي هذا المقام وجب الإشارة إلى بعض العادات المتعلقة بالمجتمع البربري عامة والمرأة البربرية خاصة، تحتل المرأة البربرية موقعا متميزا داخل المجتمع، فعن طريقها بتناقل الحق في القيادة¹، ففي نظام الأسرة الذي كان سائدا عند البربر، هو النظام الذي يسمح للمرأة من أن تتبوأ المكانة الأولى في الأسرة لذلك نرى كثير من القبائل البربرية تنسب إلى أسماء جداتها²، أما بالنسبة إلى الأعمال التي اعتادت على ممارستها، فتكاد تنحصر في إعداد الطعام وحلب المواشي وغزل الخيوط اللازمة لإعداد الملابس وتربية الأطفال والعناية بهم³، كما أنها فنانة أكثر من الرجل في غالب الأحيان، فهي التي تزخرف أنية الخزف أو تنسج الزرابي⁴.

وفي إشارة إلى أن المرأة عند قدماء البربر كانت شائعة عند الرجال وعلى ضوء ما ذكره هيرودوت: « من عادات المكاي أن نساؤهم... تضع حلقة من الجلد حول الكاحل عند كل رجل عاشرها، وكلما ازداد عدد حلقات الجلد حول كاحلها، ذاع صيتها وازدادت جاذبيتها لأن كثرة الحلقات تعني كثرة المعجبين بها من الرجال » ، كما قال أيضا: « المرأة مشاعة عند رجال الناسمونيين، وإذا أراد أحد منهم معاشرة امرأة فإنه يغرس عمودا امام المكان الذي توجد فيه، إشارة إلى رغبته في امرأة تشاركه الفراش » ، كما قال أيضا: « أن نساء الأوسيس مشاعات بين رجالهم، فالرجل لايتزوجونهن إذ أنهم يعاشرونهن كما تفعل السوائم، فإذا ازداد طفل فإنهم ينتظرون إلى أن يشب عن الطوق... ويدعون إليه الفتى

¹ غابرييل كامبس، المرجع السابق، ص 380.

² موسى رحمانى، المرجع السابق، ص 163.

³ عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 87.

⁴ شارل آندري جوليان، المرجع السابق، ص 65.

فيقررون أنه ابن الرجل الأكثر شبهاً به»¹، إلا أن هناك روايات تدحض هذا الرأي، فيقال أن الأوزيين كانوا ينزلون عقوبة الموت بالفتاة المشتركة في بعض طقوسهم الدينية إذا تبين لهم أنها كانت فاقدة لعذريتها².

لقد كان من عادة المرأة البربرية الاهتمام بمظهرها، فكانت تتزين بالعديد من الحلي المعدنية مثل الخواتم، والأقراط، والخلاخل والأساور، وهي مستعملة عند الرجال كما هي مستعملة عند النساء³، كما ذكر هيرودوت أن النساء الليبيات يلبسن خلاخيل جلدية وإن أخريات كن يتزين يوضع حلقة من البرونز حول كل ساق⁴، كما تزين أيضاً بالمجوهرات من الأحجار نصف كريمة وعلى الخصوص العقيق الأحمر، أو من الزجاج التي يقال أنها تعود إلى البربر المستقرين⁵، ولقد كانت لهن عناية خاصة بتسريح شعورهن، ومن عاداتهن عندما يعثرون على قمل يقمن بعضه قبل أن يرمين به على الأرض⁶، كما كانت النساء يتركن شعورهن مسترسلة إلى الكتفين ومنسدلة لتبليغ الصدر، وأيضاً التزين بخصلات الشعر مضفورة، أما شعر الرجال فكان أقصر مع ترك جديلة على جانب الصدع⁷، وهنا يتبين لنا مدى اهتمام البربر بكيفية وتنوع تسريحات الشعر والتي في الغالب تميز قبيلة عن أخرى⁸ ولعل أشهر الحلي التي كان البربر يتزينون بها هي ريش النعام، حيث كانت الريشة من علامة الزعامة⁹.

¹ مصطفى اعشي، أحاديث هيرودت عن الليبيين (الأمازيغ)، الكتاب الرابع، الفقرتان 172 و176، ص 43-50.

² عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 86.

³ عبد الرحمان الجليلي، المرجع السابق، ص 42-43.

⁴ مصطفى اعشي، أحاديث هيرودت عن الليبيين (الأمازيغ)، الكتاب الرابع، الفقرتان 180 و168، ص 56-36.

⁵ غابرييل كامبس، المرجع السابق، ص 133.

⁶ مصطفى اعشي، أحاديث هيرودت عن الليبيين (الأمازيغ)، الكتاب الرابع، الفقرة 168، ص 36.

⁷ علي مؤمن، إدريس مؤمن، المرجع السابق، ص 09.

⁸ أم الخير العقون، المرجع السابق، ص 95-96.

⁹ علي مؤمن، إدريس مؤمن، المرجع السابق، ص 09.

2-2- عادات متعلقة بالمجتمع:

أ- عادات خاصة بالزواج عند البربر: الزواج وتكوين عائلة هو تقليد قديم في إفريقيا الشمالية، ويتم الزواج في سن مبكرة، ويشترط على الفتاة العروس العذرية التي هيا عنوان المحافظة على نقاوة النسب، والزواج هو رأس العائلة تنتقل الزوجة إلى منزل الزوج ويلزمها العرف بالخضوع والوفاء إلى زوجها¹.

ومن عادات الزواج المعروفة عند قدماء البربر، عادة تعدد الزوجات التي كانت شائعة على نطاق واسع، خاصة عند رؤساء القبائل الذين كانوا يتخذون زوجات كثيرات²، كما أن تعدد الزوجات معروفا ومعمولا به، ولم يكن حكرا على طبقة الأشراف إذ كان العامة من الشعب يتخذون أكثر من زوجة وغرضهم في ذلك زيادة اليد العاملة والمعيلة في الأسرة³. وهذا ما أشار إليه هيروdot، حيث قال: «ومن عادات رجال الناسمونيين أن يتخذ كل واحد منهم عددا كثيرا من الزوجات»⁴.

ومن العادات المتعلقة بالزواج أيضا عادة تزويج البنت في سن مبكرة، مثلا المرأة النوميدية كانت تتزوج في سن مبكرة والبركاره شرط أساسي عند كل فتاة، والحفاظ عليها أمر واجب إذ تشترط العفة قبل الزواج، كما كان للزوج حق معاقبة الزوجة إذا ثبت إدانتها⁵. ومن عادات الزواج المعروفة عند القدماء الليبيين قليلة، فمن المعروف أن قبيلة الأدرماخيد كانوا يحضرون كل الفتيات المقبلات على الزواج إلى ملكهم ليتخار من يشاء من بينهن فيتمتع بها قبل زواجها⁶.

بينما قبيلة الأوجي يفعل ذلك مقابل أجر معين، وكان يعتبر تكريما لها، ولكنها بعد ذلك تبقى مخلصه لزوجها، وربما كانت العادة الأولى ترتبط بنوع من الخوف الديني من تحمل

¹ أسماء حجاب، حفيظة لعياضي، المرجع السابق، ص 196.

² عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 85.

³ مها عيساوي، المرجع السابق، ص 138.

⁴ مصطفى اعشي، احاديث هيروdot عن الليبين (الأمازيغ)، الكتاب الرابع، الفقرة 172، ص 43.

⁵ مها عيساوي، المرجع السابق، ص 275-277.

⁶ مصطفى اعشي، احاديث هيروdot عن الليبين (الأمازيغ)، الكتاب الرابع، الفقرة 168، ص 36.

المسؤولية الناجمة عن إزالة البكارة، أما الثانية فترتبط بعادة الجنديين البدائية في السماح للفتاة بممارسة ذلك التقليد لكي تجمع مهرا كافيا لإعانتها في حياتها الزوجية المقبلة¹، وأغرب من هاتين العادتين ما قيل عن قبيلة الماخلاي أنه عندما كان يتقدم لخطبة الفتاة أكثر من خاطب، كان ولي أمرها يقيم لهم جميعا حفلة تحضرها الفتاة وبتنافس المتقدمون لخطبتها في إلقاء النكت على مسامعها، فمن نجح منهم في إضحاكها قبل غيره كانت له زوجة².

وفي إشارة إلى تقاليد وشعائر الأعراس الأمازيغية في شمال إفريقيا، عادة رش العروس بماء العيون المكرسة لذلك أوجعلها تستحم في الأنهار، ولقد اندثر هذا التقليد تقريبا، ففي سوس مثلا تصل العروس ليلا إلى بيت زوجها، وفي الفجر تقاد نحو ضفة الساقية فيدخل العريس يديه في الماء، وتفعل العروس نفس الشيء، وأثناء العودة يتم رش العروس بالماء من قبل الأطفال، كما جرت العادة عندهم أيضا قيام العروس برمي حبات اللوز إلى السماء لتسقط كحبات المطر فيتخاطفها الأطفال³.

وأما عادات الزواج في البادية مثلا كان يتم في كثير من الأحيان بين الأقارب فقط وبين أفراد القبيلة الواحدة، ومن عادات البربر أيضا في الاحتفال بيوم الزواج، أن يقوم الزوج بإرسال هدية من لحم إلى بيت والد العروس لكي يعدوا طعاما يأكل منه أقارب العروسين ليلة الزفاف⁴، وفي إشارة أخرى إلى عادات الأمازيغ أن يبعث أهل العروس برزمة تضم التمر واللوز ملفوفة في برنس يحمل إلى أهل العروس وحين تزف هذه الأخيرة إلى البيت الزوجية، فإنها تلتحق بذلك البرنس، وتقلد خنجرا تعلقه بعد ذلك في جدار البيت الزوجية، وإن إلتحاق العروس بالبرنس الذي توصلت به ذوي زوجها يعني خروجها من وصاية وحماية الأب، ودخولها تحت حماية زوجها⁵، ومن العادات أيضا خروج العريس بعد سبعة أيام من

¹ عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 86.

² المرجع نفسه، ص 86.

³ محمد أوسوس، المرجع السابق، ص 24.

⁴ عادل بديرة، المرجع السابق، ص 115.

⁵ محمد أوسوس، المرجع السابق، ص 96.

زفافه، فيذهب لشراء كمية من السمك يحملها إلى بيته، ويسلمها إلى امه أو امرأة أخرى لتمر بها على قدمي العروس ويعتبرون ذلك من أسباب اليمن وهي عادة قديمة¹.

ومن العادات التي وجب الإشارة إليها استعمال الكحل للعينين، للنساء والرجال على سواء، كما أن استعماله خاص بمناسبات الفرح، وكانوا يستعملون أيضا الحناء في تخضيب الكفين والقدمين، وربما كانوا يستعملونه علاجاً، أو بقصد الزينة².

كما توجد بعض التقاليد الخاصة وموجودة في عدة مناطق، أن المرأة عند كثير من مجموعات البربر في المغرب حق أن تطلب الطلاق من زوجها، ونجد ممارسة أخرى غريبة هي المقابل للممارسة السابقة، إذ يباح للزوج أن يعترض على أن تتزوج زوجته السابقة من جديد، وهو اعتراض كثيرا ما يسقط بمقابل مالي³.

كما وجب الإشارة إلى بعض العادات المتعارف عليها عند البربر أيضا، أن يلزم رب الأسرة بتقديم قربانين دمويين في اليوم السابع من ميلاد طفله، وكزوج بتقديم أضحية للنساء⁴، حيث يقيم الأب وليمة في اليوم السابع بذبح شاة عن الذكر والأنثى، يعطي القابلة ربعها ويقطع باقيها أعضاء ويطعم الجيران⁵.

التبني: إن ظاهرة التبني ارتبطت بالمجتمع البربري، ومثال ذلك الحادثة التي رواها التاريخ تبني ماكوسان لإبن أخيه يوغرطة، وهذا يعني أن التبني المقبول عن نطاق أقرب الأقربين (ابن الأخ)، حيث أن التبني كان الغرض منه سياسيا بالدرجة الأولى، أي أنه لم يكن لدوافع إجتماعية لذلك يستبعد ان تكون هذه الظاهرة شائعة في المجتمع الأمازيغي⁶.

وتتمثل ظاهرة التبني أيضا، في قضية الكاهنة مع أسيرها خالد بن يزيد العيسى الذي أسرته ثم تبنته ليكون أخا لأبنائها، حيث عمدت إلى دقيق من الشعير فتلته بزيت ووضعت على

¹ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص 256.

² جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 322.

³ موسى رحمانى، المرجع السابق، ص ص 174-175.

⁴ محمد أوسوس، المرجع السابق، ص 109.

⁵ جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 319.

⁶ أسماء حجاب، حفيفة لعياضي، المرجع السابق، ص 193.

ثديها ثم دعت ولديها وقالت لهما كولا مع خالد على ثديي، فلما فعلا قالت قد صرتم إخوة، وهي عادة تشبه إلى حد ما كان عليه العرب في جاهليتهم من التبني¹.

الكي بالنار: كما جرت العادة عند البربر الكي بالنار، وهذه العادة كانت تمارس من قبل القبائل الليبية القديمة²، وهذا ما أشار إليه هيرودوت حيث قال: <<من عادات الليبيين... يأخذون أطفالهم عند بلوغهم سن الرابعة من العمر ويقومون بكي عروق أعلى الرأس وأحيانا عروق الصدع بواسطة صوف للكباش وذلك حفاظ على سريان دائم للبلغم وضمانا للصحة الجيدة حسب قولهم وقد وجد الليبيون علاجاً لألم أطفالهم وقت كيمهم وذلك بالقيام برشهم ببول التيس>>³.

الختان: وفي الواقع أن الدراسات ربطت حقيقة الختان بأصل وجذور إفريقية وأنه قديم قدم الإنسان، وتبنته عدة شعوب وأولها الشعوب البدائية، حيث كانت تقوم به هذه الشعوب كإمتحان لأطفالها وذلك لتختبر قوتهم الجسدية والنفسية فلم يكن له في تلك الفترة أي معنى، فالختان لم يعرفه المجتمع العربي، حيث كان موجود قبل العرب وقبل الإسلام⁴، ومثال ذلك القبائل الليبية كانت تمارس عادة الختان وخاصة عند قبائل التيخنو والتمحو... الخ، ولعل خير دليل على ذلك أن المصريين في الغزوات لا يقطعون الأعضاء التناسلية لقتلي هذه القبائل بل يقطعون أيديهم فقط، في حين كانوا يقطعون هذه الأعضاء للقبائل الليبية لأنهم لا يمارسون هذه العادة، ويحترمون خصومهم المختونين⁵.

وفي إشارة إلى أن طقوس الاحتفالية بالختان ماهي إلا عادات ابتكرها العرب المسلمون لما لهذا الطقس من رمزية في الذاكرة الشعبية، والختان سنة واجب أن يتبعها المسلمين⁶.

¹ موسى رحمانى، المرجع السابق، ص 174-145.

² علي مؤمن، إدريس مؤمن، المرجع السابق، ص 05.

³ مصطفى اعشي، احاديث هيرودوت عن البيبين (الأمازيغ)، الكتاب الرابع، الفقرة 187، ص 70.

⁴ فائزة إسعد، المرجع السابق، ص ص 233-234.

⁵ علي مؤمن، إدريس مؤمن، المرجع السابق، ص 05.

⁶ فائزة إسعد، المرجع السابق، ص 235.

الوشم: كان من بين العادات التي يمارسها البربر منذ القدم، حيث الأسر الليبية القديمة تمارسه قبل مجيء الإغريق، وأغلب الظن كانت لأغراض دينية، لأن بعض علامات الوشم عبارة عن رموز دينية لبعض العبادات الليبية القديمة، كما استخدمت هذه العادات من أجل الزينة وخاصة عند الزعماء ورجال الأسرة الحاكمة¹، كما ان ظاهرة الوشم عادة اشتهرت عند جميع الأمم والشعوب خاصة الرحالة منها، والأشكال المتداولة في الوشم عند الأوراس مثلا عبارة عن خطوط متقاطعة وزوايا متقابلة، وهي ضروب تزيين كما ان هذه اشتهرت عند النساء أكثر منها عند الرجال²، كما ان ما بلغنا عن البربر في الفن والزخرفة لم يتجاوز أشكالاً وخطوطاً هندسية، حيث نشاهد من الوشم المزخرف على ظاهر اليد وهي في الوجه والساق والذراع، وهو يدل على تركيز الروح الفنية فيهم وتغلغلها في المرأة بالخصوص، مما جعلها تتحمل ألمه وتصبر على وخز الإبر، كما يراد بالوشم عندهم التمييز بين العشائر والقبائل حتى لا تختلط نساء الحي بغيرهن في الحروب وفي مواطن الثورات والنزاع أيضاً، كما أن مظاهر الفن البربري كذلك تلك الزخارف المرسومة على منسوجات وأوانيهم فيما هي عليه من تناسب في الألوان واتساق في النظام³.

- **عقد الموائيق:** إن العادات المتعلقة بعقد الموائيق عند البربر، ففي هذا الموضوع ذكر هيرودوت عادات الناسمونييين في الموائيق، فكانوا يعقدونها بتبادل الشراب من أيدي بعضهم بعضاً، وإذا لم يجدوا شراباً سائلاً فغنهم يلتقطون بعض التراب من الأرض ويعلقونه⁴. كما ان عادات الأمازيغ في مراسيم المعاهدات والتحالفات، يقوم أعيان القبائل في محفل رسمي ينزع نعالهم وخطها وتغطيها ببرنس، ثم يتبادلونها ويتعاهدون، وإذا رغب طرف منهم

¹ علي مؤمن، إدريس مؤمن، المرجع السابق، ص 09.

² موسى رحمانى، المرجع السابق، ص 175.

³ عبد الرحمان الجليلي، المرجع السابق، ص ص 46-47.

⁴ مصطفى اعشي، احاديث هيرودوت عن اليبين (الأمازيغ)، الكتاب الرابع، الفقرة 172، ص 43.

في نقص المعاهدة فإنه يعلن ذلك بوضع الحناء على برنس أحد الوجهاء من حلفائه والقيام بجولة ليعرف الكل بذلك¹.

الشرف: يعتبر الشرف صفحة ملازمة للمجتمعات المقبلة، فالمحافظة عليه تعبير عن الحرص على سمعة العائلة والقبيلة وعلى صفاء دمها، وقد كان الإعتداء على شرف المرأة يلحق العار بالقبيلة ولاستطيع إحتماله فتهب لعسله²، وإنزال القتل بالمذنبين لايلقى استنكاراً، بل هو شيء يفرضه الإكراه الاجتماعي³، فمن عادة قبائل المغرب المحافظة على شرفها.

الكرم: ومن عادات البربر حسن الضيافة على سبيل الإكرام، كما أن عادة الكرم تعم المجتمع الريفي أكثر من المجتمع الحضري، فالكرم كان من مفاخر الفرد والقبيلة⁴. وهذا ما أشار إليه صاحب وصف إفريقيا، أنه من عادات شعوب نوميديا انهم في غاية الكرم مع الناس، حيث أنهم يتزودون كل عام بالحبوب لإكرام الغرباء⁵.

كما أن عادات البربر أنهم ذو أخلاق، حيث وصفهم ابن خلدون يقوله: « ... وأما تخلق البربر بالفضائل الإنسانية وتنافسهم في الخصال الحميدة وما جبلوا عليه من الخلق الكريمة مرقاة الشرف والرفعة بين الأمم... والوفاء بالقوم والعهد والصبر على المكاره والثبات في الشدائد وحسن الملكية والإغضاء عن العيون، والتجافي في الانتقام، ورحمة المسكين وبر الكبير وتوفير أهل الدين وحمل الكل، وكسب المعدوم وقري الضيف⁶، ففي عادة الفرد المغربي الإسراع إلى إقراء الضيف وحسن كرمه ويمكن القول أن هذه الصفة تكاد تكون خلقاً يميز كل سكان المغرب⁷ ».

¹ محمد اوسوس، المرجع السابق، ص 91.

² جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 304.

³ غابرييل كاميس، المرجع السابق، ص 383.

⁴ جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص ص 305-306.

⁵ الحسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ص ص 60-61.

⁶ عبد الرحمان خلدون، ج6، المصدر السابق، ص 136.

⁷ عادل بديرة، المرجع السابق، 142.

الثأر: من التقاليد والعادات الشائعة في بلاد المغرب الثأر بحكم طبيعة القبيلة، إذ أن الاعتداء على أي فرد من أبناء القبيلة يعتبر إعتداء جميعها بحكم العصبية القبلية، فكان من عادة القبيلة أن تأخذ بثأر قتلها ويقوم بتنفيذ العملية أقرب الناس إليه، أما قبيلة القاتل فكان من عاداتهم أن تقف يدا واحدة لحماية إبنها وجمع الدية من جميع أفرادها¹، كما جرت عاداتهم أن تدفن جثامين المقتولين في المقبرة، ووضع فوق سداداتها الملابس الملطخة بالدماء، ليكون فيها تذكير يومي للصبية الصغار بالجرائم التي سيكون عليهم أن يثأروا لها². الدفاع عن القبيلة: ولقد كان من عادات القبائل تحمل مسؤولية الدفاع عن القبيلة جماعية، حيث يتحمل الرجال القادرون، فكلهم جنود يوم المعركة، ومن عادة القبائل استعمال الطبل الذي يدق ثلاث مرات به لإعلان بالرحيل، وأيضا لكل قبيلة رايتها³، كما أن هناك بعض العادات الأمازيغية التي تطبق في حالة هروب الجندي من المعركة، كان يتعرض لطقس إذلال حقيقي إذ تقيده النسوة تربطن حول رأسه وشاحا وتظلمينه بسواد الدخان وينتزع شعرات من لحيته وشاربه، حتى يتبين للناس في اليوم الموالي أن المرأة أفضل منه فيقصيه رسميا وعلى العلن من عالم الرجال، إذ يعد بمثابة شخص محايد مخنث أو عديم الجنس⁴.

الفروسية: فكانت من تقاليد البربر الفروسية، حيث كان أهل البادية يتقنون فن الفروسية أكثر من مجتمع المدينة، وقد كان سكان المغرب يهتمون بالفروسية لذا تعود على تربية أبنائهم عليها منذ نشأتهم ويحبونها إليهم، حتى كان أطفالهم يلعبون بالعصي فكانوا يصطفون على صفيين ويركبون عصيهم كأنهم فرسان⁵.

¹ جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص ص 295-296.

² غابرييل كامبس، المرجع السابق، ص 383.

³ جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 300.

⁴ محمد اوسوس، المرجع السابق، ص ص 117-118.

⁵ جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص ص 304-319.

الاحتفال بيناير: إعتاد البربر الاحتفال برأس السنة البربرية، حيث يتم تنظيف البيت وتبديل الأثاث¹، كما يجمع العارفون بتاريخ منطقة المغرب أن الاحتفال بموسم يناير يضم عدة أبعاد، ففي المجال الزراعي تتعلق المناسبة بالحرث والبذر وغرس الأشجار وعلى هذا الأساس ووفق هذه المفاهيم التي تتعلق بالزراعة يتم تقسيم الفصول في السنة البربرية، حيث أن بعض العائلات البربرية يقومون في هذه المناسبة بعادات وطقوس خاصة توارثتها العائلات على مر العصور فالموسم كان احتفال قروي وحضري غارق في القديم²، وهو يرتبط بدورة زمنية مرتبطة بموسم الحرث أو موسم جني المحاصيل³.

ويقع الموسم في اليوم 12 و 13 من شهر جانفي، ويسمى الأول نفقة الكرموس أي التين، واليوم الثاني نفقه اللحم، ففي اليوم الأول تعجن الأمهات لأولادهن قرصا من الخبز ويثبت فوق كل قرص بيضة تشبكها بالعجين حتى لاتسقط، بالإضافة إلى إعداد مأكولات أخرى تخصص لهذا اليوم مثل الفطائر والاسفنج ويشتري الآباء من السوق الثمار اليابسة من الكرموس والتتمر والجوز واللوز⁴.

أما اليوم التالي تعد أطباق من اللحم، كما جرت العادة مع اقتراب هذه المناسبة تبدأ ربات البيوت بالتحضير لها مسبقا، تقوم بعض العائلات بوضع الطفل الصغير في جفن أو قسعة، ثم تصب عليه مختلف أنواع الحلوى على رأسه ليتم توزيعها بعد ذلك على الحاضرين من ضيوف أو أفراد العائلة كفال خير عليه بحلول سنة جديدة حلوة ملئها الخير والبركة⁵.

¹ محمد الأمين مرزوقي، البناء الاجتماعي لبلاد المغرب الإسلامي مع بداية الفتح، رسالة ماجستير، تخصص القرون الوسطى، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2016م/2017م، ص 34.

² سهيلة دهمش، مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي للمغرب الوسيط الزياني (533-962هـ/1235م)، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ وسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2014م/2015م، ص 62.

³ محمد الأمين مرزوقي، المرجع السابق، ص 34.

⁴ سهيلة دهمش، المرجع السابق، ص ص 62-63.

⁵ المرجع نفسه، ص 63.

كما جرت العادة عند البربر أيضا، احتفالهم بقدوم فصل الربيع بالرقص والغناء، ومن أشهر أدوات الموسيقى عندهم، الناي المصنوع من نبات القصب والدف الذي يصنع من جلود الماعز أو الغنم¹.

ونسنتج في الأخير أن الحياة الاجتماعية عند البربر تحكمها عادات وتقاليد، وهي امور لم يكن للشريعة الإسلامية عليها غير تأثير محدود لدى بعض المجموعات البربرية ففي كثير من الأحيان إنعكست ذهنية الفرد المغربي على عاداته كما يحصل العكس، تأثر عاداته على نمط سلوكه وتفكيره.

¹ محمد الأمين مرزوقي، المرجع السابق، ص ص 34-35.

الفصل الثاني:

الموروث العربي الوافر

أولاً: العادات الإحتفالية الدينية

- 1- لالعادات الوافدة مع عرب الفتح
- 2- العادات الإحتفالية المدنية والعسكرية
- 3- عادات وتقاليد عربية تأثر بها المجتمع البربري

ثانياً: العادات الوافدة مع العرب الهلالية

- 1- الحضور الهلالي في مجال المغرب
- 2- الثقافة الوافدة مع الهلاليين.

أولاً: العادات الوافدة مع عرب الفتح.

1- العادات الاحتفالية الدينية:

لقد أثار انتشار الإسلام في بلاد المغرب أنماط سلوكية كان لها تأثير علي العقلية المغاربية، حيث شهد المغرب العديد من الاحتفالات التي كانت تقام في المجتمع المغاربي نتيجة المناسبات المختلفة، وقد إشتراك أهل المغرب في هذه الاحتفالات معبرين عن شعورهم وعاطفتهم إزاء هذه الاحتفالات، ويمكن أن تقسم هذه الاحتفالات باعتبار بواعثها ودوافعها إلى ثلاث انواع، فهناك الاحتفالات الدينية واحتفالات مدنية متنوعة نظرا لأسباب متعددة واحتفالات عسكرية.

1-1- الاحتفال بشهر رمضان وليلة القدر:

يعتبر رمضان من أعظم المناسبات التي يحتفل بها المسلمون في جميع البقاع الإسلامية فهو شهر التوبة، فقد إعتاد المغاربة التحضير لهذه المناسبة، فكانت تزين المساجد والزوايا بالشموع وبأنواع البخور والعود والعنبر¹، وهذا ما أشار إليه ابن أبي دينار بقوله: <<تشد الأبيات الشعرية التي تضمنت مدائح خير البرية وتوقد القناديل وتسرج الشموع وتكون تلك الليلة أشهر ليالي سنهم، ويصنعون الأظعة الفاخرة احتساباً لله>>²، وفي هذا الشهر يحرص المغاربة على أداء صلاة التراويح وقيام لياليه³، فخلال شهر رمضان ينصرف الناس إلى العبادة، كختم القرآن فضلا عن صلاة التراويح التي تقام في المساجد كل ليلة⁴ كما وجب الإشارة إلى العادات التي تتعلق بالموسم، فهناك عادة تسبق شهر رمضان تسمى

¹ سامية يخلف، الأعياد والاحتفالات في المغرب الإسلامي من القرن 2 هـ - 9م / 9هـ - 15م، رسالة ماستر في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة 8 ماي 1945م، 2016-2017م، ص 23.

² محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بإبن أبي دينار (ت1681م)، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، 1686هـ، ص 290.

³ سامية يخلف، المرجع السابق، ص 23.

⁴ عبد الكريم طهير، التواصل الحضاري بين الأندلس وبلاد المغرب على عهدي المرابطين والموحدين (ق5-7هـ/11-13م)، رسالة دكتوراه في تاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016-2017م، ص 167.

شعبانة، يقوم الناس فيها بتحضير الولائم في شهر شعبان، وشاعت هذه العادة خاصة عند طلبية العلم¹.

ولقد كان لشهر رمضان قداسية عند سكان المغرب الإسلامي، إذ كانوا يستعدون له منذ اليوم الأول بشراء كل ما يلزمهم، وكان القضاة يشرفون على ترقب الهلال بشغف²، وفي هذا المقام قال الونشريسي: <<لايجوز أن يبني الإنسان في رؤية الهلال إلا على عدلين محققي العدالة فأكثر>>³، ويكثر في هذا القيام وتتنوع فيه الصدقات وتعدد به الزيارات بين الأقارب والجيران والأصدقاء، فكانوا يدعون بعضهم البعض إلى الافطار في منازلهم طوال شهر رمضان⁴، وقد صاحب هذا الشهر قيام الأسر بإعداد أشكال من الحلوى والمعجنات⁵ وكما هو معروف فإن صيام رمضان مقرون بعادة السحور، وفي هذا الصدد استعمل الناس عدة وسائل لإيقاظهم وقت السحور منها النفخ في النفير، أو بالدق على الطار وضرب الشبابة، وغالبا ما كان مؤذنو المساجد هم من يتولوا مهمة إيقاظ الناس للسحور⁶.

وكانت لليلة القدر مظاهرها الخاصة إذ كانت الأسر تسعى لأن يصوم أبنائهم، فيتزينون ويخرجون إلى المساجد والزوايا وزيارة الأهل والأقارب، قبل أن يحين موعد آذان المغرب⁷.

كما كانت لليلة القدر أهم احتفال عند سكان المغرب الإسلامي، حيث توقد الشموع والزينة حتى الفجر، والمساجد تكون مكتظة بالحضور لإقامة الحلقات الدينية والصلاة، ففيها يختم القرآن في المساجد، ويبدو أن مظاهر الاحتفال بهذه الليلة واحدة بالمغرب والأندلس ولا

¹ عبد المالك بكاي، الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 7-10هـ/13-16م، رسالة دكتوراه، في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013م-2014م، ص 142.

² سهيلة دهمش، المرجع السابق، ص 17.

³ أبي العباس بن يحيى الونشريسي (ت914)، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج1، إشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، الرباط، ودار الغرب الإسلامي-بيروت، 1401هـ/1981م، ص 410.

⁴ سهيلة دهمش، المرجع السابق، ص 19.

⁵ عبد المالك بكاي، المرجع السابق، ص 142.

⁶ سهيلة دهمش، المرجع السابق، ص 19.

⁷ عبد المالك بكاي، المرجع السابق، ص 142.

مجال هنا لإظهار علاقة التأثير بين الطرفين لأن هذه المظاهر فرضتها الواجبات الدينية للشهر الفضيل¹.

ولقد وجب الإشارة إلى طريقة الإبلاغ عن رؤية الهلال، فإذا رجعنا إلى النصوص الافتائية والنوازل في المعيار نجدتها تشير إلى العديد من العادات والتقاليد التي بالأعياد والاحتفالات المغاربية، من بينما على سبيل المثال، أنه إذا ثبت الرؤية في إحدى قرى البدية (خصوصا هلال رمضان وشوال)²، يبادر القوم، بإضرام النار من قرية إلى أخرى إعلاما برؤية الهلال، والنار توقد علامة على رؤية الهلال حسبما ذكر إذا كان قد حصل لأهل القرية الأخرى أنهم لا يوقدون النار إلا إذا رأوا الهلال³.

وما يمكن ملاحظته في هذا المقام، أن المجتمع المغربي عرف انتشارا واسعا لعادة ختان الأطفال في ليلة القدر، بغية التبرك بهذه الليلة المباركة.

1-2- الاحتفال بعيد الفطر والأضحى (وبموكب الحج ويوم الجمعة):

أ- الاحتفال بعيد الفطر والأضحى:

من أهم الاحتفالات التي إعتق بها المغاربة، هما عيد الفطر والأضحى⁴، فقد إعتاد الناس على الاحتفال برؤية هلال شوال، حيث كانت تفرع الطبول احتفالا بليلة العيد⁵، كما أنه في العيد يخرج الناس لأداء صلاة العيد، ويلبسون الثياب الجديدة والأنيقة، وبعد الانتهاء من أداء الصلاة يقوم الناس بالتغافر والتهناني بيوم العيد، ثم يقوم الناس بزيارة بعضهم⁶ البعض ومنهم من يقصد أولياء الله الصالحين⁷.

¹ عبد الكريم طهير، المرجع السابق، ص 140.

² عمر بلبشير، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن 8 إلى 9/12-15م، من خلال كتاب المعيار للونشريسي، رسالة دركتوراه، تخصص التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارية الإسلامية، جامعة وهران، 2009-2016م، ص 140.

³ أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، ج1، المصدر السابق، ص 412.

⁴ سامية يخلف، المرجع السابق، ص 28.

⁵ عبد الكريم طهير، المرجع السابق، ص 162.

⁶ سامية يخلف، المرجع السابق، ص 28.

⁷ ناصر بلميلود، كريم دمدوم، المرجع السابق، ص 42.

وفي إشارة إلى أنه كانت مظاهر الاحتفال متعددة بالمغرب والأندلس، ومنها خروج الرجال مع النساء مختلطين للتفرج في أيام الأعياد والاحتفالات، ومظهر الاحتفالات ذاته بالعيدين في الأندلس نفسه ببلاد المغرب¹.

ففي عيد الفطر جرت العادة على أن يبدأ التحضير للاحتفال به منذ أوائل شهر رمضان، ويستمر الاحتفال به فيما يبدو ثلاثة أيام، ويظل هذا الاحتفال يوم بهيجا تحضر فيه الناس أنواع من الحلوى أما اليوم الثاني والثالث فيتوجه بعض أصحاب الطرق الصوفية لزيارة ضرائح الأولياء والمقابر²، كما كان أهل المغرب في عيد الفطر يقومون بإخراج زكاة الفطر، ثم الذهاب إلى المصلي لأداء الصلاة مكبرين مهللين، ولقد كانت تقدم مأكولات خاصة بالعيد منها العصيدة والرغيف، البغير³.

ولعل الملفت في هذا الباب من مظاهر الاحتفال بعيد الفطر مثلا عند الزينيين هو التنفن في إقتناء جديد الثياب وأحسنها أو نسمية لباس العيد، ولكون الملابس نفسها ترتبط ارتباطا وثيقا بالعبادات والتقاليد خصوصا أوقات المناسبات والأعياد والاحتفالات المختلفة فهي التي تحدد لنا طريقة ارتدائها، وتنوع ألوانها واختلافها⁴.

ولانستبعد أن تكون ملابس الأعياد نفسها قد إستعملها أهل المغرب في عيد الأضحى فكان الناس يشتررون الأضاحي، غير أن شراء كبش العيد لم يكن مقدور كل فئات المجتمع، لذا إقتصرت على الفئات الميسورة⁵.

فعيد الأضحى هو مناسبة لإحياء السنة بتقديم الأضاحي، غير أن ذلك صاحب عادات أخرى، منها أن بعض الأسر كانت تترك تفصيل الأضحية إلى اليوم الثاني الذي يوافق أول أيام التشريق، وأطلق على هذه العملية التسطير أو التشطير⁶.

¹ عبد الكريم طهير، المرجع السابق، ص 162.

² سهيلة دهمش، المرجع السابق، ص ص 21-22.

³ عبد الكريم طهير، المرجع السابق، ص 141.

⁴ سهيلة دهمش، المرجع السابق، ص 22.

⁵ ناصر بلميلود، كريم دمدم، المرجع السابق، ص 22.

⁶ عبد الكريم طهير، المرجع السابق، ص 143.

وكمظهر من مظاهر الاحتفال بهذا العيد، فقد شاعت في المجتمع المغاربي، مظاهر التعاطف والتلاحم والتغافر، والتي كانت تدوم طلية ثلاث أيام¹.

كما جرت العادة في بلاد المغرب الإسلامي بزيادة المقابر في مثل هذه الأيام، حيث يتذكرون موتاكم بالزيارة والدعاء وهناك من يقصد أولياء الله الصالحين².

ب- **الاحتفال بموكب الحج:** إن الحج إلى بيت الله الحرام ركن من أركان الإسلام، فهو من الشعائر التي تعلق بها المغاربة، إذا اجتهدوا في الإعداد لها³، فقد أبدوا اهتمامهم الخاص بهذه الفريضة، ويتجلى ذلك من خلال مظاهر الاستعداد والتجهير لإدائها تهيئة الثياب البيضاء والتزيين بالحناء، وإن الاحتفال بالركب المتوجه إلى البقاع المقدسة من العادات المنتشرة في بلاد المغرب⁴.

يكون هناك إحتفال عند عودة الحجاج، حيث يجتمع الناس لإستقبالهم، بعد ذلك يتوجه بعض الحجاج لزيارة أحد الأضرحة الموجودة بالقرب منهم تبركا به، وكان ضريح أبي مدين شعيب يقصده الكثير من الحجاج⁵.

ج- الاحتفال بيوم الجمعة:

يعتبر يوم الجمعة يوم مبارك وهو أفضل الأيام عند المسلمين وقد ارتبط هذا اليوم بصلاة الجمعة خاصة، وقد عني الإسلام بيوم الجمعة وصلاتها والحث على أدائها والحفاوة بها من إغتسال وطيب وتكبير إليها⁶.

¹ سهيلة دهمش، المرجع السابق، ص 30.

² سفيان منجحي، بلال حويش، العادات الاحتفالية في بلاد المغرب الإسلامي عهد الموحدين خلال القرن 6هـ، رسالة ماستر، تخصص القرون الوسطى، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف- المسيلة، 2016-2017م، ص 17.

³ عبد المالك بكاي، المرجع السابق، ص 143.

⁴ سهيلة دهمش، المرجع السابق، ص ص 24-25.

⁵ سفيان منجحي، بلال حويش، المرجع السابق، ص 35.

⁶ سهيلة دهمش، المرجع السابق، ص 45.

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.¹

كان يحرص الناس فيه على الظهور بمظهر أنيق تعبيراً عن فرحهم بهذا اليوم واقتداء بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان البعض يفضلون يوم الجمعة في الذكر وقراءة القرآن ومنهم من كانوا يزورون أقاربهم، أو يزورون المقابر للاعتبار والأضرحة طلباً للبركة، رغم النهي عن زيارتها.²

ومن التقاليد التي إتبعها في هذا اليوم أيضاً، أنه كان يرفع علم أزرق فوق الصومع وسبب هذه العادة أنه كان يرفع علم أبيض على الصومعة يعلق وقت دخول الصلاة لإخبار الناس وتنبههم بحلولها وفي الليل توقد القناديل لأجل ذلك، وتميزاً ليوم الجمعة غير إلى اللون الأزرق وأول من أحدث هذه العادة هو أبو عنان المريني³، ومن التقاليد التي أحدثت في يوم الجمعة والتي اعتبرت من البدع قراءة القرآن جماعة، والحقيقة أنها مباحة، إذا كانت سليمة غير محرفة⁴.

1 - 3- الاحتفال بعاشوراء والمولد النبوي الشريف:

أ- الاحتفال بيوم عاشوراء: من أهم الاحتفالات التي مارسها المغاربة⁵، إذ يعظمون يوم عاشوراء تعظيماً كبيراً وهو عندهم مثل الأعياد، ولهم فيه صدقات كثيرة وكساء المساكين⁶ حيث ينهك المغاربة بالتحضير لهذه المناسبة ويمثل هذا اليوم احتفالاً دينياً وله عادات كالصوم إلتماساً للأجر، أما الرجال فإنهم لا يخلقون رؤوسهم والنساء يخضبن أيديهن بالحناء في شهر محرم⁷.

¹ سورة الجمعة، الآية: [09].

² سفيان منجحي، بلال حويش، المرجع السابق، ص ص 21-22.

³ عبد المالك بكاي، المرجع السابق، ص 147.

⁴ سهيلة دهمش، المرجع السابق، ص 46.

⁵ سامية يخلف، المرجع السابق، ص 34.

⁶ ناصر بلميلود، كريم دمدم، المرجع السابق، ص 42.

⁷ سهيلة دهمش، المرجع السابق، ص 31.

كما هو فرصة لزيارة المقابر ورواية حكاية مقتل الحسين¹، ومن العادات الاحتفالية بهذه المناسبة أكل الدجاج والعزف والغناء وغيرها من العادات اشترك فيها المسلمون مع غيرهم من الأقليات التي تعيش في المغرب²، كما كانت عاشوراء مناسبة لإخراج الزكاة، كما يكثر في هذا اليوم التخضيب بالحناء مع استعمال الكحل والسواك والتزين والتجميل واستعمال البخور وأكل الفاكهة المجففة، والطعام الغالب في يوم عاشوراء الكسكوس المفور "اللّية" التي هي مؤخرة الخروف وذنبه التي يحتفظ بها من أضحية العيد³، وهي عادات دالة على الفرح، إلا أنه يمكن تسجيل بعض المظاهر الأخرى كزيارة المقابر والأضرحة والقيام ببعض الطقوس التي لا تمت للإسلام بأي صلة، كعادة خروج الطفل لجمع النقود وهم يحملون عظم كبش الذي يحتفظ به من عيد الأضحى ثم يدفن هذا العظم في طقوس إحتفالية خاصة بهم، ثم عادة قص شعر الفتيات ليلة عاشوراء إعتقاداً منهن ببركة عاشوراء⁴.

كما وجب الإشارة إلى أن يوم عاشوراء كانت تقام فيه عمليات ختان أطفال الفقراء وتقديم مساعدات لذويهم، إضافة الي أن يوم عاشوراء كان فرصة لإظهار بعض العادات المستحسنة، لكن ظهرت فيه أيضاً بعض العادات الذميمة المخالفة للشرع، إذ كانت النساء تحتفظن بكتف خروف العيد، ويتخذونه لقراءة الحظ قبل أن يقمن بدفنه في هذا اليوم واتخذت نساء أخريات في هذا اليوم مرأة تسمى: "أمرايات إبليس"، لمعرفة الحظ، وخصص هذا العمل السحر أو لفكه وفيه اليوم الذي يليه ينظم إستعراض، للفتيات وهن متزينات بغرض طلب الزواج⁵.

¹ عبد المالك بكاي، المرجع السابق، ص 145.

² سهيلة دهمش، المرجع السابق، ص 31.

³ عبد المالك بكاي، المرجع السابق، ص 145.

⁴ سهيلة دهمش، المرجع السابق، ص 31.

⁵ عبد المالك بكاي، المرجع السابق، ص 145.

ب- الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

تفيدنا نوازل "المعيار" أن ظاهرة الاحتفال بالمولد النبوي كان يلقي اهتماما كبيرا من قبل حكام المغرب الاسلامي وسائل فئات المجتمع، فكان يوم الثاني عشر من ربيع الأول عيداً مولودياً عاماً، يحتفل به أهل المغرب على مختلف المستويات¹، ولقد اعتاد النساء بهذه المناسبة الخروج والزرعدة فوق الأسطح ساعة من الزمن، أما الرجال فإنهم يجتمعون بعد صلاة العصر أو المغرب بالمسجد حول جماعة من الطلبة الذين يمدحون النبي "صل الله عليه وسلم" إضافة إلى إشعال الشموع وترديد المدائح الدينية، كما تقوم ربات البيوت بتحضير أطباق تقليدية خاصة بهذه المناسبة².

ومن الأطعمة التي كانت تقدم في هذا اليوم بعض المعجنات مثل الرغائب والبغيرير ويكون الفطور في هذا اليوم بالعصيدة التي تعد بالحليب والدقيق تيمناً بالرسول "صل الله عليه وسلم"، حيث يقول المغاربة أنه أول طعام تناوله الرسول "صل الله عليه وسلم"³، وهذه الليلة مناسبة لتوزيع الطعام وتعطيل الدراسة وغلق الحوانيت، وكان الناس يمشون في الأزقة يصلون على النبي "صل الله عليه وسلم" وطوال اليوم يسمعون مدائح عن النبي "صل الله عليه وسلم"، بالإضافة إلى أنه في المولد تكثر الصدقات على الفقراء واليتامى... الخ⁴، كما اعتاد الناس على إيقاد الشموع والتزيين بما حسن من الثياب، وركوب الدواب لإظهار الفرح والسرور بمولده عليه السلام، على الرغم من معارضة عدد من الفقهاء لمسألة إيقاد الشموع في المنازل العامة ودور العبادة، واعتبارها بدعة خارجة عن الشرع⁵.

ولقد تميز الاحتفال في عهد أبي حمو موسى الثاني مثلاً، بإيقاد الشموع الملونة في المنازل والمساجد والزوايا، كما يتلقى طلاب المدارس المنع والهبات التي يقدمون جزء منها

¹ عمر بلشير، المرجع السابق، ص 143.

² سهيلة دهمش، المرجع السابق، ص 33.

³ عبد المالك بكاي، المرجع السابق، ص 144.

⁴ سامية يخلف، المرجع السابق، ص 19.

⁵ فؤاد طواهرة، "الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط السياق التاريخي والمجال الجغرافي"، مجلة الحوليات التراث، ع15،

جامعة مستغانم - الجزائر، 2015م، ص 165.

إلى أساتذتهم في هذا اليوم المبارك، ويكون توزيع ماء الورد وماء الزهر ورشه بالرشات وإقامة المباخر بالعنبر، وتوزع فيه الهدايا المتنوعة، وتسدد الديون عن المسجونين والأموات¹.

ومن مظاهر الاحتفال في تلمسان أيضاً، الزينة والشموع والمرشات في الشوارع والطفال الحاملين للمباخر²، ويذكر أيضاً من عادات مدينة تلمسان تنظيم مباريات في إلقاء الشعر، ينظمها شعراء المدينة وتستمر القراءة إلى آخر الليل، وتقديم أصناف الطعام إلى غاية الصباح، والشيء الجدير بالذكر هو أن المغاربة في هذه المناسبة يأكلون مع بعض في شكل جماعي، كذلك جرت العادة عند المعلمين، على إيقاد الشموع في الكتاتيب والاجتماع مع صبيانهم للصلاة على النبي "صل الله عليه وسلم"³.

ويقراً بعض الأولاد ممن هو حسن الصوت عشرا من القرآن الكريم وينشد قصيدة في مدح الرسول "صل الله عليه وسلم" وبهذه المناسبة كان الاحتفال يستمر أياما يتلى فيها القرآن والذكر والدعية وتتشد الأشعار العيديات "المولديات" وهي قصائد خاصة بهذا اليوم وتلك الليلة⁴.

ولم يكن الاحتفال بالمولد فقط، بل حتى احتفلوا باليلة السابعة للمولد في عهد الأمير أبوتاشفين الثاني (791-795هـ) (1389-1392م)⁵، ومازال أهل تلمسان وندرومة يحتفلون بيوم المولد ويوم السابع منه إلى يومنا هذا، وفي ذلك قال التنسي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل الحافظ: «ولما كانت ليلة سابع المولد المذكور احتفل لها... مقامة بمثل احتفاله لليلة المولد أو اعظم»⁶.

¹ محمد قويسم، دراسات في التاريخ الوسيط (طلبة السنة الثانية تاريخ نظام ل م د جديد)، قسم العلوم الإنسانية- شعبة التاريخ، جامعة 20 أوت 1955م، سكيكدة- الجزائر، 2015م-2016م، ص 15.

² سهيلة دهمش، المرجع السابق، ص 34.

³ سامية يخلف، المرجع السابق، ص ص 19-20.

⁴ عمر بلشير، المرجع السابق، ص 144.

⁵ عبد المالك بكاوي، المرجع السابق، ص ص 143-144.

⁶ محمد قويسم، المرجع السابق، ص 17.

وينتهي الحفل بمجرد طلوع الشمس، ويعطي كل أب لولده شمعة كبيرة تساوي ثلاثين إبرة ومنها من يساوي أكثر أو أقل على حسب المستوى المعيشي للأب، وكان على الشمعة نقوش وزخرفة بالألوان والخطوط الهندسية وصور أزهار بارزة من الشمع وهي توقد في أول الليل من الشروق¹.

وأورد الونشريسي في هذا الموضوع حيث قال: « الذي يظهر انه عيد من أعياد المسلمين وموسم من مواسمهم، وكل ما يقتضيه الفرح والسرور بذلك المولد المبارك من إيقاد الشمع وإمتاع البصر، والتزين بما حسن من الثياب وركوب فاره الدوراب أمر يباح لاينكر² ». .

وما يلاحظ في هذا المقام وجود بعض العادات التي كان المغاربة يقومون بها، منها نحر الذبائح وتقديمها إلى الأضرحة وإقامة اللواتم في مناسبة المولد النبوي، وإن هذه العادة تؤكد تأثير المغاربة بتراث أجدادهم البربر القدماء، كما جرت العادة عندهم أيضا ختان أطفالهم بهذه المناسبة.

وفي إشارة إلى أن الاحتفال بهذه المناسبة لم يكن متداولاً في القرون الثلاثي الأولى للهجري، وقد ارتبط عملياً بقيام دولة الفاطمية بمصر³.

"ومن العادات الاحتفالية بالمولد النبوي عند الزيانيين مثلاً، إقامة احتفال رسمي بهذا العيد وقام به الأمراء الزيانيون الذين كانوا يقومون بدعوة الأشراف وأعيان المجتمع وعامة الناس إلى هذا الاحتفال فيقومون: "ببسط نمارق مصفوفة وزرابي مبنوثة وشمع كالأسطوانات... وتطوف عليهم ولدان وقد لبسوا أقبية الخز الملونة، وبأيديهم مباخر ومرشات ينال منها كل بحاطة"، ثم تقديم في مدح الرسول صل الله عليه وسلم⁴.

¹ عمر بلبشير، المرجع السابق، ص ص 144-145.

² أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، ج 11، المصدر السابق، ص، ص 278.

³ سهيلة دهمش، المرجع السابق، ص 34.

⁴ عبد المالك بكاي، المرجع السابق، ص 143.

وفي إشارة إلى أن الدافع إلى الاحتفال بالمولد النبوي لما كان عليه النصارى من الاحتفال به عند سبته بل عم المغرب الإسلامي كله، وهذا يدل على أن مسألة اتباع أعياد النصارى مست المغرب والأندلس¹، في حين هناك من يدحض هذا الرأي، ويرى أن الغرض من الاحتفال بالمولد النبوي ليس التشبه بالمسيحيين وإنما هو التذكير بسيرة الرسول "صل الله عليه وسلم"² ويبدو أن مظاهر الاحتفالات التي كانت تقام بسبته كان مصدرها الأساسي بلاد الأندلس حيث كان بسبته يحتفلون بالمولد النبوي كعادة أهل الأندلس، وهذا كله يبين مدى تأثير سلوك أهل المغرب بأهل الأندلس³.

وصفوة القول أن مناسبة المولد النبوي الشريف تمثل طابعا ديني واجتماعي لدى المغاربة، وكانت تقاليد الاحتفال بهذا المولد العظيم تختلف من مدينة إلى أخرى، فإن القاسم المشترك في مظاهرها لديهم، هو حرصهم على إيقاد الشموع والمشاعل وارتداء الملابس التقليدية الجديدة للتوجه إلى بيوت الله وتبادل الزيارات.

نستنتج أن المغرب الإسلامي عرف انتشار بعض العادات التي تنسب إلى الدين الإسلامي والتي انعكست على سلوكات الإنسان المغربي فأثرت على ذهنيته وتفكيره، كما أن الاحتفالات الدينية والممارسات الموسمية التي تتعاقب طيلة السنة الهجرية امتزجت ببعض البدع والطقوس التي ليس لها علاقة بالدين الإسلامي مثل الطقوس المصاحبة للاحتفال بالمولد النبوي الشريف وعاشوراء.

2- العادات الاحتفالية المدنية والعسكرية:

2-1- الاحتفال بالزواج:

لقد عرف المجتمع المغربي مجموعة من الظواهر الطقوسية، التي تشمل على مجموعة من العادات والتقاليد ذات الخصوصية الاجتماعية التي ترتبط بدورة الحياة، من خطبة وزواج، وولادة وعقيقة وختان، ومراسم احتفالية أخرى.

¹ عبد الكريم طهير، المرجع السابق، ص 167.

² محمد قويسم، المرجع السابق، ص 14.

³ عبد الكريم طهير، المرجع السابق، ص 167.

اعتبر الإسلام الزواج النواة الأساسية للأسرة وتكوين المجتمع في نطاق الشريعة الإسلامية¹، كما أن بناء الزواج وما يحويه من تركيب وتعقيد صعب في عملية التوفيق بين ما يقره الشرع وما يتبع من العادات والتقاليد في مجتمعات المغرب الإسلامي، وبالرجوع إلى كتاب "المعيار" نجده يزخر بمادة جد مهمة عن الزواج منذ مراحلها الأولى التي تبدأ عادة بالخطب، وما يتبعها من مراحل إلى غاية الاحتفال بيوم الزفاف²، حيث تعد الخطبة الأولى خطوات الزواج³، وفي هذا يقول الونشريسي: « عادة الناس عند الخطبة التواعد على الإيجاب والانعقاد بتوقيت زمان يحضره الشهود وينبرم فيه الأمر »⁴، ولقد اعتبرت للإتفاق بين أهل العروسين⁵، وتأتي المرحلة الثانية وهي مرحلة الإعلان، ويتم في المدينة أو القرية لإخبار بأن فلان قد خطب فلانة بنت فلان، عندها يتقدم الأهل والأصحاب بالتهاني للعائلتين، وطوال فترة الخطوبة كان الزوج يقدم العديد من الهدايا بسيطة عبارة عن حناء وصابون وفاكهة وغيرها، والشائع أن يقوم الخاطب، أحيانا عصفر لصبغ الثياب وقصب الذهب وثوبان من الحرير وعقد جوهر وقطيفتان وجوريان⁶.

كما يذهب أهل الزوج إلى منزل العروس للتحديث مع أهلها والإتفاق معهم على قيمة صداق، وكل ما يتعلق بالزواج من شروط وما يلحق به من هدايا وترتيبات الزواج⁷. لقد عالج الفقهاء قضايا العقود الزوجية التي تشمل الصداق في صورة لائحة تفصيلية، ويستشف من نصوص "المعيار" أن صداق الزوجة في المغرب الإسلامي⁸

¹ سفيان منجحي، بلال حويش، المرجع السابق، ص 33.

² عمر بلبشير، المرجع السابق، ص 84.

³ سهيلة دهمش، المرجع السابق، ص 52.

⁴ أبي العباس بن يحيى الونشريسي، ج3، المصدر السابق، ص 121.

⁵ عمر بلبشير، المرجع السابق، ص 85.

⁶ سهيلة دهمش، المرجع السابق، ص 53.

⁷ عمر بلبشير، المرجع السابق، ص 85.

⁸ المرجع نفسه، ص 88.

معروف على عاجله وآجله، ومن كان له يسر ربما دفع المعجل عند التعريس، وأما المؤجل فلا يطلب به إلا بعد موت أو فراق¹.

كما كان الصداق يخضع للحالة الاجتماعية والمادية للزوجة والزوج، وكان الصداق من الحلي والفرش والألبسة، كما كان المهر في كثير من الأوقات يحدد بالدنانير، أما صداق النقد في المغرب فكان عبارة عن خلاخل فضية قيمتها عشر دنانير من الذهب، أما الثياب أو الكسوة فمنها ثوب من الكتان وآخر من الحرير وملحفة وفراش من القطيفة، علاوة على هدية من طعام²، وهذا ما أشار إليه الونشريسي بقوله: «من عاداتهم في بدء حالهم أن الصداق يكون بدنانير منها حالا يدفع قبل الدخول، لاتقبضها المرأة ولا أبوها وإنما يأتي الزوج بكسوة وحلي ذهب يقول اشتريت هذا بكذا واشتريت هذا بكذا، وربما كان الحلي فضة أو بعضه فضة وبعضه ذهب، فيحسب ذلك من الصداق النقد الحال المدفوع قبل البناء، هذه العادة المستمرة في جميعهم³».

ولقد كان الفقر أحيانا يدفع الشباب إلى عدم دفع مهر الفتاة كاملا فيعملون إلى ترك ما بقي منه إلى ما بعد الزواج⁴، كما كان الزواج في إطار القربي العائلية ظاهرة ملفتة للانتباه، فنكاح بنت العم كان أمر مألوف، وذلك لصلة الرحم من جهة ومن جهة أخرى للمحافظة على بقاء الثورة داخل الأسرة أو القبيلة لاسيما مع وجود رخصة شرعية بتعدد الزوجات⁵.

وفي إشارة إلى الجهاز فقد جرت العادة أن يقوم الهل بتهجير إبناتهم في وقت مبكر حتى قبل خطبتها بسنوات⁶، فعادة الآباء يعدون للبنات في صغرهن من الهبات والعطايا وما

¹ أبي العباس بن يحيى الونشريسي، ج3، المصدر السابق، ص 121.

² سهيلة دهمش، المرجع السابق، ص ص 55-56.

³ أبي العباس بن يحيى الونشريسي، المصدر السابق، ص ص 263-264.

⁴ سفيان منحجي، بلال حويش، المرجع السابق، ص 32.

⁵ عمر بلشير، المرجع السابق، ص ص 88-89.

⁶ سهيلة دهمش، المرجع السابق، ص 54.

يكون لجهازهن¹، وكان الجهاز عند عامة الناس يتميز بالبساطة إذ لم يتعدى غالبا فراشا ولحافا وبعض الملابس والحلي².

وبعد الانتهاء من إعداد الجهاز يتم الاتفاق على موعد الزفاف وتبدأ الترتيبات لإقامة الوليمة³ فكانت العادات الإحتفالية لبلاد المغرب الإسلامي تتجلى فيها كل مظاهر التضامن والألفة والمحبة بين أفراد المجتمع ويتم عقد الزواج عادة في المساجد فإن تم عقد القران أقيمت الأفرح إبتهاجا بهذه المناسبة،⁴ ولقد جرت العادة عند المغاربة أن يقدم العريس لأهل العروس ما يلزم لإعداد طعام الوليمة لتقديمه للمدعوين يوم الإحتفال كما جرت العادة أن يبعثوا العريس إلى العروس بعض المال تستعين به لشراء ما يلزمها قبل الزفاف وهو ما يسميه الونشريسي بحق العروس، ونستفيد مما ورد في نوزال "المعيار" إلى أن العروس كانت تحرص على تجميل وتزيين نفسها ليلة الزفاف، فكانت تزين العين بالحكل للتحكل والشعور بالترجيل ويكرر السواك على مواضع التقبيل وتطوق الأعناق بالعقود وتضرب العكر في صفحات الخدود،⁵ ومن وسائل التجميل أيضا دهن جسدها ووجهها ببعض الطيون التي تظهر جمالها وكل حسب مقدرته وتتولى مهمة تزيين العروس الماشطة.⁶

وفيما يتعلق بحفل الزواج فكانت توقد بذلك الشموع والقناديل ويستدعون المغنين فالعادات الإحتفالية عن المغاربية إعداد وليمة إذ لا يمكن أن يقام الزفاف بدونها لذا نجد اليوم الأول من العرس مخصص لذبح الخراف والشاة بينما يكون اليوم الثاني مخصصا لاستقبال الضيوف وإطعامهم، وفي الليل يقام حفل الزفاف الذي يقسم إلى حفلتين أحدهما يقام في النهار للرجال والثاني يقام في الليل للنساء،⁷ كما كانت من عاداتهم أنهم يقيمون في

¹ أبي العباس بن يحيى الوشريسي، ج3، المصدر السابق، ص 246.

² عمر بلبشير، المرجع السابق، ص 91.

³ المرجع نفسه، ص 91.

⁴ سفيان منجحي، بلال حويش، المرجع السابق، ص 32.

⁵ عمر بلبشير، المرجع السابق، ص 156.

⁶ عادل بديرة، المرجع السابق، ص 115.

⁷ عمر بلبشير، المرجع السابق، ص 92.

النهار سبق الخيل على أنغام المزامير والدفوف وزغاريد النساء أما المحطة الأخيرة من مراحل الاختلاف في العرس وهي ليلة الدخول للعرس إذ تدخل العروس مع عريسها إلى غرفة من غرف المنزل الذي يقام فيه حفل وتجلس امرأة إلى جانب باب الغرفة تنتظر إعلان فض بكاراة العروس.¹

وما يمكن استنتاجه في هذا المقال أن الزواج في العصر الوسيط مرتبط بذهنية الفرد وثقافته كما أن عادات وتقاليد الزواج وطرق إقامته متشابهة في طريقة إقامته في كامل أنحاء المغرب الإسلامي حيث يبدأ بالخطبة وينتهي بحفل الزفاف.

2-2- الاحتفال بالعقيقة وختان الاطفال:

الاحتفال بالمولود: من عادات سكان بلاد المغرب في ختان الاحتفال بميلاد أطفالهم، بأنهم كانوا يعدون العقيقة،² وهي وليمة تكون من خروف أو أكثر ونوع من الحلوى اشتهر بها المغاربة تسمى بالعصيدة،³ ويطعم من ذلك الفقراء وأقارب أسرة المولود الجديد كما يتم تفصيل أعضاء العقيقة، وتدفن العظام تحت الارض كي لا تمزقها السباع ويستحب بطبخ لحمها بالعسل تفاعلاً بحلاوة المولود، بالإضافة الى أنه في نفس اليوم، يتم قص خصلة من شعر المولود، وتقدم الهدايا لأهله.⁴

فحفل قص خصلة من شعر الطفل، يكون غالباً في اليوم السابع من ولادته وهي سنة على الأرجح، وفي هذا قال الونشريسي: «وفي ذلك تقص خصلة من شعر المولود، ثم يؤذن في أذنيه بقدر ما يسمع، وقد تلجأ الأمهات لوضع بعض التمام والحروز التي تعلق في أعناق أولادهن حفظاً لهم من العين، وتقام الوليمة في العقيقة يذبح خروف وتحضر العصيدة من الشعير ويطعم منها الال والفقراء من الناس»⁵.

¹ سهيلة دهمش، المرجع السابق، ص60.

² عز الدين جعفري، المرجع السابق، ص63.

³ سهيلة دهمش، المرجع السابق، ص49.

⁴ سامية يخلق، المرجع السابق، ص- ص33-34.

⁵ سهيلة دهمش، المرجع السابق، ص48-50.

كما جرت عادة عند المغاربة، بالنسبة للمولود يغسلونه ويطهرونه ثم يبخرون له عشبة نوم الناس ويطلون جسمه بالحميرة الممزوجة بالبيض، ثم يقطعون له شعره من رأسه ويعلقونها مع نوم الناس¹ ومن الاحتفال بيوم العقيقة أيضا، تخصيب يد المولود بالحناء وتقديم الهدايا لأهل المولود.²

كما اتخذت أضحية العقيقة أبعاد أخرى في بعض المجتمعات فهناك من يضع تحت لسانها قطعة ملح، والأخطر من ذلك أن هناك من يسرق دم الشاة يستعمله في أعمال سحرية³. كما عرفت المنطقة بعض العادات السيئة بشأن العقيقة، ومنها أنهم إذا ذبحت يقومون بدفن بعضها في التراب، وفي بعض القرى يطبخون الربع الأمامي دون فصل العظم عن اللحم يأكله الأبوان، ويعلقون العظام في سقف البيت، ومنها إعطاء الرأس والجلد للقابلة أجره، ومنها تعليق جلودها على حائط الدار وبخصوص الحلاقة، فكانوا يتركون جزء من الشعر في الرأس، ووسطه وخلفه لأولادهم وهذه الفعلة قد نهى عنها النبي صل الله عليه وسلم لما فيها تشبه باليهود.⁴

ب- **الاحتفال بختان الأطفال:** الختان من السنة والفطرة التي حث عليها ودعا إليها فمن الاحتفالات التي كانت رائجة في المغرب حفل إعداز الأطفال، ومما يدل على أنها عادة كانت منتشرة وممارسة ببلاد المغرب رواية أوردها المراكشي عن الخليفة الموحي أبو يوسف المنصور (580هـ-595هـ) حيث ذكر أنه كلما دخلت السنة يأمر أن يكتب له بالأيتام فيجمعون إلى موضع غريب من قصره فيختنون، وبهذا يتضح ان الختان كان سنة الذكور واجبة في كل من المغرب والأندلس، ونظرا لقيمتة الاجتماعية ارتبط بتقليد رسمي في كل من الأندلس وبلاد المغرب.⁵

¹ عز الدين جعفري، المرجع السابق، ص64.

² سهيلة دهمش، المرجع السابق، ص50.

³ عز الدين جعفري، المرجع السابق، ص64.

⁴ المرجع نفسه، ص ص64-65.

⁵ عبد الكريم طهير، المرجع السابق، ص168.

وعادة الختان أصبحت سنة للمغاربة التي درجو على الاحتفال بها، ومهما يكن فقد أصبح ختان الاولاد مظهر الحياة الاجتماعية السائد في المغرب الاسلامي، وكان والد الطفل، يقوم بإعداد وليمة بمناسبة ختان طفله،¹ حيث يبدأ التحضير للختان بمجرد وصول الطفل إلى مرحلة البلوغ، هذا اذا لم يكن قد ختن في صغره بمناسبة العقيقة، ويطلق على هذه المناسبة "الختان" و"الطهارا" و"الاعذار"، وعادة ما يتم دعوة الأهل والأقارب إلى حفل موسيقي لتلك الليلة وتحضر مجموعة من الأطعمة في شكل وليمة لهذه المناسبة.²

ويقول حسن الوزان في هذا المقام: « ومن عادتهم أيضا أن تقام وليمة عند ختان الولد، ويكون ذلك في سابع يوم بعد ولادته، يستدعي الأب في ذلك اليوم أصدقاءه والحلاق فيطعمهم، وعندما ينتهي الأكل يقدم كل واحد من المدعوين هدية للحلاق مثقال أو مثقالين، أو أكثر، فيلصقها على وجه غلام الحلاق يذكر اسم المتبرع ويشكره، وبعد ذلك يقوم الحلاق بختان الطفل، وتقام في الأخير حفلة يرقصون فيها... وإذا كان المولود أنثى استشارهم بها »³.

كما جرت العادة أن يقام الاحتفال بالختان منذ الصباح الباكر، فينظف الصبي ويرتدي عباءة بيضاء واسعة، ثم يحلق له رأسه، ويوضع له الكحل في عينيه، والحناء في يديه وقدميه ويلصق على ساق قدمه بعض التمام لتقيه من الشرور، كما توضع بعض الاعشاب التي يعتقد بأنها تقي هي الأخرى من الشرور.⁴

وبعد انتهاء العملية يقدم للطفل وجبة تساعده على استعادة قوته، وهي مكونة من سبعة بيضات، وقطعة كبيرة من اللحم تسمى "القصيرة"، وأكله المردود، وبعد ذلك تزغرد

¹ سامية يخلف، المرجع السابق، ص 50.

² سهيلة دهمش، المرجع السابق، ص 50-51.

¹ الحسن بن محمد، الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص 257-258.

⁴ عز الدين جعفري، المرجع السابق، ص 66.

النساء وتمدح أحد النساء الطفل وعائلته، وتغني النساء بعض الهازيج، وتقام مآدبة يدعى إبيها الأقارب والأحباب.¹

وما يمكن ملاحظته في هذا المقام، أن طقوس الختان في المغرب الاسلامي عموما رغم الاختلافات في تفاصيلها، إلا أنها تتوحد في مظاهرها العامة، ورغم عامل الزمن إلا أن طابعها الاحتفالي لم تتغير كثيرا عما كان عليه سابقا، فالعادات والتقاليد المغربية تتشابه في طريقة الاحتفال بالعقيقة والختان، كما أن هذه المناسبة امتزجت بعادات مختلفة نظرا لارتباط الانسان المغربي بالعادات والتقاليد الموروثة عن أجداده البربر القدماء.

كما وجب الإشارة إلى بعض الاحتفالات الشعبية التي تعددت طرقها ومنها، زيارة الاشياخ والعلماء ومن الاشياخ الذي كانت لهم زيارة الشيخ ابراهيم بن محمد بن علي النازي الذي نزل بضواحي مدينة وهران وكانت له هناك زاوية، وكذا ايقاد الشموع وتعطير المحيط بأنواع العنبر والورد وبماء الزهر والورد، وهناك من عمد الى تقريب الذبائح والقربان عند الأضرحة وهو ما دفع العلماء إلى رفض ذلك واعتبره من البدع المنكرة، كما انتشرت عادة تزاحم الاطفال على تقبيل يد العلماء تبجيلا وكراما لهم.²

2-3- الاحتفالات العسكرية:

شهدت المدن المغربية في عهد دولة المرابطين كثيرا من الاحتفالات العسكرية، والتي يخرج فيها الناس لمشاهدة عرض عسكري، استعدادا لحملة أو خروج ولي الأمر على رأس جنوده إلى معركة من المعارك، وهكذا كانت الاحتفالات العسكرية بمثابة مناسبة فرح وبهجة ينشد فيها الشعراء قصائدهم وتدوم هذه الاحتفالات لأيام عديدة.³

فكانت تقام في الاحتفالات العسكرية الافراح في كل مدينة ينزل بها الخليفة وذلك احتفاء وتعظيما لشخصه ويتم اطعام الناس وتوزيع العطايا لهم.

³ عز الدين جعفري، المرجع السابق، ص 67.

² عبد المالك بكاي، المرجع السابق، ص 144-148.

³ ناصر بلميلود، كريم دموم، المرجع السابق، ص 43.

كما كان الناس يحتشون في الطرقات لمشاهدة مواكب الجيش وجنوده كما يصاحب استعراض الجيش قرع الطبول وكان عدد الطبول مثلاً لدى الموحدين مائة طبل حسب ان صاحب الصلاة.¹

وكان يحمل في بداية موكب الجيش مصحف الصحابي الجليل عثمان ابن عفان رضي الله عنه، حيث كان يوضع في هودج جمل أبيض ومعه أعلام ملونة، ويليه المصحف موطأ الامام المهدي فوق ظهر بغل أبيض، وهذا في عهد الدولة الموحدية.² كما كان سلاطين بني زيان الأوائل يحرصون على احضار مصحف عثمان على عادة الموحدين ويستصحبونه في كل حركاتهم للقتال تبركاً به، ولهم في ذلك ترتيب حسن وذلك أنهم في سفرهم أول ما يتقدم بين يدي الامير راية بيضاء على طول ما يكون من العصي، ويتلوها المصحف الكريم محمولاً على أضخم بختي، يوجد في قبة حرير مربعة بأعلاها جامور أبداع ما يكون في رأس ركن من أركان القبة، راية عظيمة تخفق بأقل ربح ولو لم يكن الا حركة الجمل في سيره، ويتلوها بغل من أفره البغال يحمل ربة كبيرة مربعة مغطاة بحرير تضمنت الموطأ والبخاري ومسلما والترمذي والنسائي وأبا داود.³

3- عادات وتقاليد عربية تأثر بها المجتمع البربري:

لقد غطت المؤثرات العربية جميع مناحي الحياة في اللغة والثقافة والعادات والتقاليد والمآكل والملبس... الخ.

3-1- التأثيرات التي مست الاسرة والمرأة: تشكل الاسرة في القبيلة البربرية الخلية الاساسية في المجتمع، فالاسرة ربها الرجل وتقوم على الزواج وتعدد الزوجات في المجتمع البربري، كما في المجتمع العربي والنسب يحسب من حيث الأب، ويستنتج بعض الدارسين في قضية الكاهنة، والمركز الذي بلغته في، قومها اذ ان نظام الأسرة الذي كان سائد عند

¹سفيان منجحي، بلال حويش، المرجع السابق، ص ص 26-27.

²سهيلة دهمش، المرجع السابق، ص 68.

³المرجع السابق، ص 68.

البربر قبل الإسلام هو نظام (الاموي)¹ هو النظام الذي يسمح للمرأة البربرية أن تحتل موقعا مميزا داخل المجتمع² وتتبوأ المكانة الاولى في الاسرة، لذلك نرى كثيرا من القبائل البربرية تنسب الى اسماء جداتهم وهذا الوضع المتمثل في تسلم المرأة قيادة الاسرة يجعلها بذلك اكثر تحررا من التي تكون في المجتمع (ابوي)³ والمؤسف حقا أن الاسرة البربرية بعد اسلامهم واعتناقهم الدين لم تعد تعطي للمرأة دورا رياديا كما كانت سابقا، دليل علي ان الرجل هو الذي أصبح يهيمن على الاسرة، وبالتالي اختفت المرأة تحت جناحه كما يقال⁴ وما يلاحظ في هذا الصدد ان المجتمع البربري تعرض كثير من التغيرات والتأثيرات التي مست المجتمع بعد الفتح الاسلامي للمغرب، وأهمها تغير نظام الاسرة من النظام الاموي الذي كان سائد في بعض المناطق من بلاد المغرب الى النظام الابوي.

3-2- التأثيرات التي مست مجال اللباس والمأكل:

أ- مجال اللباس:

يشيد حسن الوزان بجمال لباس النساء المغربيات اللواتي كن يرتن في أيام الحر سوى قميص يحزمه بنطاق لا يخلو من قبج، ويلبسن في الشتاء وثيابا عريضة الاكمام ومخيفة من الامام كثياب الرجال، وعندما يخرجن يلبسن سراويل طويلة تستر كل سيقانهن، وخمار على عادة نساء الشام يغطي الرأس وسائر الجسم ويحجب الوجه كذلك يقطعه قماش لا تظهر منها الا عيونهن⁵.

يكشف القاضي عياض أيضا عن بعض ازياء الفاسيين بقوله: « فجعلهم يلبسون السراويل نساء ورجالا ولم يكونوا يلبسونها قبل »⁶، حيث أن النساء يلبسن السراويل

¹ محمد الامين مرزوقي، المرجع السابق، ص32.

² غابرييل كامبس، المرجع السابق، ص380.

³ محمد الامين مرزوقي، المرجع السابق، ص72.

⁴ المرجع نفسه، ص32.

⁵ الحسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ص252.

⁶ القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي(ت544)، ترتيب المدارك، المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، ج8، سعيد

احمد اعراب، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، المملكة المغربية، 1403، ص175.

الطويلة التي تصل إلى اسفل الاقدام، وكذلك يلبس النقاب¹ وكان لباس الفقهاء يشتمل برنوس وبرد كلاهما ابيض من الصوف، ثم احرام للتزدية ومنديل يتعمم به ودراعتين أو قبطية سداسية، أما اتخاذ البياض في اللباس فمقتبس من أهل الاندلس منذ ان اقترح استعماله زرياب المغني علي بن أمية، وكان المشايخ قادة الجيش عربا او زناتيين يلبسون زيا متشابها، وهو عمامة المشايخ طويلة خفيفة يغطيها لثام غلى الكتف،² وقيل أن العمائم انتقلت الى المغرب الاسلامي مع مجيء العرب الفاتحين.³

وكان من الطبيعي أن تعرف بلاد المغرب الكثير من الملابس الاندلسية سواء بسبب التأثير أو تشابه الظروف المناخية إلى حد بعيد والتي لها علاقة بنوعية اللباس الذي يرتديه السكان في كل فصل، وطبيعي أن تعرف بلاد المغرب الكثير من الملابس الاندلسية خاصة في عهد المرابطين والموحدين، فكان للأندلسيين تأثير كبير على أهل المغرب بسبب تميزهم الرفيع الذي ميزهم عن المغاربة، فقد كان أكثر لباس الموحدين الملابس الصوفية، ولكن بعد دخولهم الاندلس وانفتاحهم على حضارتها وترفها، أقبلوا على ارتداء الملابس الحريرية المطرزة، واتخاذ الرقاق.⁴

كما تم أيضا وجود عدد كبير من الالبسة يرجع أنها اندلسية الاصل ورغم اختلاف اسمائها الاندلسية وتعويضها بأسماء مغربية مثل الينيقة وهي عبارة عن منديل تضعه النساء على رؤوسهن أثناء الخروج من الحمام، والقمصان المطرزة بالحرير وبالألوان والتي تحمل اسم القمجة ذات الاصل والتسمية الغرناطية.⁵

¹ محمد ابراهيم عمد الحناي، عدنان محمود عبد الغني الشاوي، "مكونات المجتمع ومفردات الحياة العامة في المغرب الأقصى من خلال كتاب الذخيرة السنية لابن ابي زرع الفاسي"، مجلة الملوية للدراسات الاثرية والتاريخي، مج4، ع10، السنة الرابعة، تشرين الثاني 2017، ص 161.

² ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000، ص125.

³ ناصر بلميلود، كريم دمدوم، المرجع السابق، ص48.

⁴ عبد الكريم طهير، المرجع السابق، ص155.

⁵ فؤاد طوهارة، المرجع السابق، ص155.

كما أن أزياء نساء الأندلس كان طابعها الأناقة، وهو ما جعله مميزا في بلاد المغرب، لذلك فإن تأثير المرأة الأندلسية في بلاد المغرب كان قويا، في حين أن زي النساء في بلاد المغرب يكاد يكون متشابها لزي النسوة في الأندلس، حيث تقدم كتب النوازل إشارات إلى أسماء الثياب.¹ التي اشتهر لبسها خاصة خلال العصرين المرابطي والموحدي، فنجد منها ثياب ملحفة القطنية التي تلبس غالبا أثناء الشتاء، كما ترتدي ثيابا عريضة الأكمام على سراويل طويلة تبعا للمكان الذي تعيش فيه وتغطي رأسها، كما استخدمت النساء في المغرب والأندلس الخلاخل والاساور والاقراط من الفضة والذهب، والأحجار الكريمة لتزيين اليدين والرقبة.²

ب- مجال المأكل:

أما عن التأثيرات التي مست مجال الأكل عند المغاربة، تبين دخول بعض الاطعمة الأندلسية إلى بلاد المغرب ومنها: الملوزة، البسكوشو، البسيطة والمابنة وهي نوع من العجائن المحشوة بالجبن، تغلى وتأكّل مغلقة بالسكر والقرفة والعسل وشراب الورد،³ وإذا تتبعنا ألوان الطعام في بلاد المغرب نجد أن موآئدهم أصبحت حافلة بأنواع الطعام والاشربة والتي كان أغلبها منقولا عن الأندلس.

كما نقلت بعض الحلويات التي كانت تصنع في الأندلس إلى المغرب منها: المجبنات التي تعتبر أشهر الحلويات الأندلسية، حيث كانت المجبنات تصنع في عدة من بلاد المغرب، وتعرفوا أيضا على حلوى " المدائن"، كما عرف سكان بلاد المغرب أكلة المروج الأندلسية، ومجينة البيض، وهي من الاكلات الأندلسية التي عرفت في مراكش، كما تأثر أهل المغرب بترتيب المائدة الأندلسية.⁴

¹ عبد الكريم طهير، المرجع السابق، ص155.

² المرجع نفسه، ص ص155-156.

³ فؤاد طوهارة، المرجع السابق، ص 156.

⁴ عبد الكريم طهير، المرجع السابق، ص159،158.

وما يمكن ملاحظته في هذا المقام تأثر المغاربة في مجال العادات والتقاليد بالاندلسيين أكثر من تأثرهم بعرب المشرق، حيث تبين وجود الكثير من التقارب بين الاندلس وبلاد المغرب خاصة في مجال اللباس، كما كان الأثر الاسلامي العربي جليا وسط النساء في اللباس الفضفاض وخيما الرأس وحتى الحذاء.

كان للانتقال دور فعال في حدوث احتكار حضاري وفكري واجتماعي بين سكان بلاد المغرب والمهاجرين، وهو ما يظهر جليا في طريقة لباسهم وعيشهم وتقاليدهم في المأكل وإن كانت كل بلاد المغرب قبلة للمهاجرين الاندلسيين.¹

كما وجب الإشارة إلى بعض العادات التي تأثر بها المغاربة منها: استعمال النساء الحناء لصبغ شعورهن، كما كانت عادة متبعة عند الرجال إذ كانوا يحرصون على التزين بتخضيب اللحية البيضاء بالحناء الحمراء أو الصفراء إتباعا للسنة.²

كما تم إدخال بعض خصائص العرب كتربية الخيول، الامر الذي ساهم في نشر ثقافة رياضة ركوب الخيل، وساهم العرب في ادخال بعض الصناعات التقليدية إلى المنطقة كصناعة السروج والخيام التي تفننوا فيها، كما صبغ العرب المنطقة الى العربية للأبد فأعطوا بذلك الهوية العربية إلى كامل بلاد المغرب.³

كما تم ادخال فن الموسيقى الأندلسية كمؤثر ثقافي أندلسي ويعود الفضل في ذلك للفنان أبي الصلت بعدما ترك طليطلة سنة 478هـ/1085م ليحط بالرحال بالبلاد التونسية، كما أدخلوا آلات موسيقية أندلسية وحافظو عليها، مثل العود والرباب، والدربوكة، والكامنجة والصنوج والطبيلة، وأحيوا المواليد والاخوانيات وقصائد المديح والغزل ووصف الطبيعة والاثار وشعر الحرب... الخ⁴

¹ عبد المالك بكاي، المرجع السابق، ص106.

² عمر بلبشير، المرجع السابق، ص 152.

³ مبارك بشير، "العنصر العربي بالمسيلة وقلعة بني حماد، خلال العصر الوسيط) قراءة في الأدوار والتأثيرات)" مجلة البحوث والدراسات الانسانية، ع13، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة- الجزائر، 2016، ص25-26.

⁴ فؤاد طوهارة، المرجع السابق، ص165.

وما يمكن استنتاجه في هذا الدراسة ان القبائل العربية انصهرت مع المجتمع المغربي ومارست حياتها بشكل طبيعي وتأقلمت لأجواء الطبيعة والتقاليد الاجتماعية.

3-3- العادات الجنائزية:

كان بناء المقابر ضروري لإستقبال الموتى، وفي الشريعة الاسلامية ينصح بالاسراع بالدفن، حتى قيل إكرام الميت دفنه وذلك لعدة اعتبارات، فقد عرفت منطقة المغرب الاسلامي بناء المقابر منذ الفتوحات الاسلامية لها وكان المسلمون يقيمون مقابر خارج المدينة.

يذكر كمال أبو مصطفى نقلا عن الونشريسي أن العادات والتقاليد المتصلة بالجنائز والوفاة، منها عادة الجهر بالتهليل امام الجنازة فيقوم الناس في جنائزهم عند حملها بالتهليل والتصلية والتبشير والتنذير على صوت واحد،¹ كما يصف الونشريسي أن من عادات سكان المغرب الاسلامي عند التحاق احد الاشخاص بالرفيق الاعلى أنهم كانوا يقرؤون عليه آيات من القرآن ويقوم أحد الأشخاص بالصعود إلى منئذنة الجامع ومن ثم يعلن وفاته وقت صلاة الجنازة وموضعها ومن العادات التي ارتبطت بالموت أقدام الكثير على ترك وصية لأبنائهم أو أحد أقاربهم منها تحديد المكان الذي يرغب الميت أن يدفن فيه.²

ومن العادات التي كانت متبعة أيضا في المغرب الاسلامي عادة تسمى سابعة الميت، فأهل المتوفي في اليوم السابع يصنعون طعام للفقراء والأقارب للترحم على الميت وكذلك من عادات أهل المغرب عند وفاة الرجل خروج نساء أهله وأقاربه ومعهن نساء من الجيران إلى المقبرة، ويضيق أن من عاداتهم أيضا الوقوف عند القبر للتعزية، كما أحدثوا عادة القراءة على القبر وتكرار زيارته، كما جرت عادة الماخرين من القيروانيين وغيرهم يوضع مصحف في قبر المتوفي، ويأخذون أجزاء منها ويتلونها عند زيارة القبر.³

وما يلاحظ في هذا المقام تغير مراسيم وطقوس الجنائز عند المغاربة بعد الفتوحات الاسلامية لبلاد المغرب نتيجة اعتناقهم للإسلام.

¹ ناصر بلميلود، كريم دموم، المرجع السابق، ص39.

² سفيان منجحي، بلال حويش، المرجع السابق، ص21.

³ ناصر بلميلود، كريم دموم، المرجع السابق، ص40.

ثانيا: العادات الوافدة مع العرب الهلالية:

1- الحضور الهلالي في مجال المغرب الاسلامي:

1-1 - التأثير الاجتماعي:

ان دخول العرب الهلالية بلاد المغرب الاسلامي شكل العقد الرابع من القرن 5هـ/11م حدثا مفصليا في تاريخ المغرب الاسلامي وذلك نظرا لما عرفه من تغيرات جذرية مست مختلف جوانب الحياة فرضها طبعها دخول القبائل الهلالية.

وعموما رغم سكوت المصادر على التلاقع الحضاري الذي تم بين العرب والبربر لاسيما في مستوى العادات والتقاليد، فإنه من الصعب استثناء العادات والتقاليد في علاقات العرب والبربر، والتي أخذت بحكم المجاورة لبعضهم البعض التشابه في بعض الانشطة. ومع مرور الزمن أخذت أبعاد حضارية في اطار التفاعل بين البربر والعرب الهلالية التي لا يمكن تجاهلها،¹ فبعد عملية التوطين القبلي للهلاليين على مشارف المدن والحوضر ثم دخولهم فيما بعد إلى قلب المدن واختلاطهم بأهلها اختلاطا كليا بالمصاهرة، أثرت على الحياة الاجتماعية بصفة عامة والعادات والتقاليد بصفة خاصة،² فكانت هجرة بني هلال الحملة الثانية بعد الفتوحات الاسلامية، ولذلك تغيرت الوضعية العربية في البلاد وتعزز أمرها باستقرار تلك القبائل فأخذت عندئذ الاخلاق العربية تنتشر واللغة تعم،³ فالغزوات الهلالية قد أحدثت تعديلا جنسيا حولت عادات ساكنة وتقاليدها إلى العربية فكان تأثير العرب في البربر اجتماعيا ولغويا،⁴ فالتأثير الاجتماعي يظهر بوضوح في دخول عناصر جديدة بدوية في هيكلية المجتمع المغاربي،⁵ وهذا راجع لكثرة عددهم، إضافة إلى ان العرب الهلالية لم يتركوا شبرا من المغرب إلا وطوقوه، وهذا أدى إلى امتزاج الدماء العربية بالبربرية التي

¹ مصطفى بن عريب، المرجع السابق، ص ص 90-131.

² سهيلة دهمش، المرجع السابق، ص 71.

³ تومية قوراري، مقارنة سيميائية سردية لسيرة بني هلال، رسالة ماجستير تخصص أدب شعبي جزائري، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الأدب واللغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014/2015، ص 8.

⁴ مبارك بشير، المرجع السابق، ص 26.

⁵ تومية قوراري، المرجع السابق، ص 7.

خلقت أجيال جديد جسميا وفكريا وقد ساعد هذا الاختلاط التشابه بين حياة العرب الهلالية وبعض القبائل البربرية وخاصة التي تمتهن الرعي.¹

إذ أن اختلاط الدماء البربرية والعربية تولد عنها اجيال قوية واشد عزيمة²، لذلك اعتاد ملوك فاس ان يتخذوا كلهم تقريبا من بنات هؤلاء الاعراب ويربطون معهم وشائج القرابة³، إضافة الى ظهور عادات وتقاليد جديدة على السكان الأصليين⁴، اذ ادخل العرب الهلاليون على بلاد المغرب أسلوب حياة غير مألوفة لأهل البربر ومنها إقامة الخيام التي لم تكن منتشرة في المغرب آنذاك⁵، والتي تعتبر رمزا من رموز العروبة منذ الازل⁶، كما جاء العرب الهلاليين محملين بعاداتهم الرعوية وهذا ما سمح لهم بالانتشار والتوسع بحثا على الكلا⁷.

كما اشارت بعض الدراسات الحديثة الى بعض الإيجابيات التي جاءت بها قبائل بني هلال كالشجاعة وعزة النفس وحفظ العهد وحسن الجوار والاعتراف بالجميل وعنايتهم بالأنساب⁸ وهنا اتفاق بين البربر والعرب الهلالية في الصفات الخلقية⁹، كما كان من الضروري الإشارة تلك القبائل البدوية على المجتمع المغاربي التي وضعت حياة الخشونة وما انتقل منها من عادات وممارسات اثرت تأثيرا سلبيا على البيئة التي عاشت وتأثرت فيها وما تنتجه منها من اعمال تخريبية جراء ممارسة الاعمال اليومية ووصف ابن خلدون ذلك النمط الاجتماعي

¹ قداري بن ديدة، تأثير الهجرات الهلالية على بلاد المغرب الاوسط (443هـ - 555هـ - 1052م - 1160م) رسالة ماستر، تخصص تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الدكتور مولاي الطاهر - سعيدة، 2015/2014، ص 54.

² محمد صديقي، القبيلة في الدولة الزيانية (633-962هـ/1235-1555م)، رسالة ماستر، تخصص تاريخ المغرب الاسلامي والحضاري، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الانسانية، جامعة الدكتور طاهر مولاي، سعيدة، 2018-2017م، ص 85.

³ الحسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ص 55.

⁴ محمد صديقي، المرجع السابق، ص 85.

⁵ قداري بن ديدة، المرجع السابق، ص 54.

⁶ محمد صديقي، المرجع السابق، ص 85.

⁷ قداري بن ديدة، المرجع السابق، ص 54.

⁸ مبارك بشير، المرجع السابق، ص 26.

⁹ قداري بن ديدة، المرجع السابق، ص 54.

لحياة البداوة¹، حيث قال: <وهلكت الضواحي والقرى بإفساد العرب وعيهم... وأكثروا النهب واشتد الحصار وفر أهل القيروان الى تونس وسوسة، وعم النهب في البلاد... وجاء العرب فدخلوا البلاد واستباحوه واكتسحوا المكاتب وخرّبوا المباني وعاثوا في محاسنها، وطمسوا من الحسن والرزق معالمها واستصفوا ما كان لآل بلكين في قصورها وشملوا بالعيث والنهب سائر حريمها، وتفرق أهلها في الأقطار فعظمت الرزية وانتشر الداء واعضل الخطب، ثم ارتحلوا الى المهديّة فنزلوها، وضيّقوا عليها بمنع المرافق وإفساد السابلة>>².

ان كلام ابن خلدون حول العرب أنهم اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب لأنهم من الامم الوحشية ولكن اذا ما دققنا النظر في كلام ابن خلدون نجد فيه شئ من الغرابة حيث اتهم العرب بأنهم حطموا مدنيات بلاد المغرب، وكانوا في هذه البلاد عنصر فساد وتخريب، وذهب البعض الى نعتهم بالوندال المغربيين، فهذا حكم أصدر عن جهل فالعرب الذين دخلوا المنطقة لم يكونوا متحضرين وهذه حقيقة لا ريب فيها فهم قدموا من الصعيد المصري ببداوته العربية يحملون الاخلاق العربية وكل مافي العرب من محاسن ومساوئ³. فهجرتهم كانت بغرض الاستقرار لا الغزو ثم يعودوا أدرجهم من حيث أتوا، وهنا يلقي اللوم على دولة بني حماد التي اعتبرت الاعراب النازحين حين عدوا يجب مقاومته، لذلك أخذت نيران الحروب تشتعل بين الطرفين و.لم يستقر العرب بالبلاد الا بعد عناء طويل ولهذا يجب اعادة النظر في كلام ابن خلدون الذي ربما كان متحاملا على العرب، فهذا الكلام وبهذه الحدة في بقية المصادر مثل الحسن الوزان⁴.

فكان لمشاركة بني هلال البربر في مواطنهم السبب المباشر في حدوث المتغيرات والعلائق بين الطرفين، ولا يستبعد أن يكون لضعف العصبية البربرية دور أيضا في تفعيل

¹ محمد إبراهيم، عبد الجنابي، المرجع السابق، ص 154.

² عبد الرحمان ابن خلدون، ج6، المصدر السابق، ص 21-22.

³ مبارك بشير، المرجع السابق ص ص 23-24.

⁴ المرجع نفسه، ص 24.

العلاقات وتسهيلها بين العرب الهلالية، في مستويات اللهجة الهلالية والأشعار والمذهب الديني واللباس والمسكن والعادات والتقاليد¹.

ويعد موضع اللباس من القضايا التي لا يزال يحيط بها الكثير من الغموض وذلك لقلة تناول المصادر التاريخية بمثل هذه القضايا من جهة وأغفال الكثير من الأبحاث والدراسات التي تناولت الحضور الهلالي بالمغرب الإسلامي².

فيقول الهادي روجر إدريس أن لباس بني هلال الذي لا نعرف عنه شيء كان يشبه ملابس أهل البادية، حيث كانت ملابسهم أكثر بساطة من ملابس الحضرة، والتي يقومون بتفصيلها ثم خياطتها، ويبين في موضع آخر أن العرب الناجعة يكسبون الأنعام ويتخذون لوازمهم من أوبارها وأشعارها وفي إشارة لهذا الموضوع أن البرقع هو غطاء للرأس من ألبسة النساء الهلاليات والعمائم للرجال وأمام سكوت المصادر تذهب الدراسات إلى أن لباسهم كان يتخذ من وبر الإبل وصوف الأغنام³.

أما ابن خلدون أورد لنا العديد من الإشارات عن البربر وأخذهم بزي العرب ويظهر هذا في قوله: « ويأخذون بمذاهب العرب في زيهم ولغتهم وسائر شعارهم، كما هو شأن هواره⁴ »، ويشار في موضع آخر عن هواره أيضا أنهم أخذوا بشعار العرب وشارتهم باللبوس والزي، ولم يكن دور البربر مقتصرًا على اقتباس الزي العربي والأخذ به فحسب، بل أخذ العرب عنهم أيضا ألبستهم ومن ذلك ارتداء العرب العمائم على طريقة الزيانيين⁵، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في قوله: « وشعارهم لبس المخيط في الغالب ولبس العمائم تيجانا على رؤوسهم يرسلون من أطرافها عذبات يتلثم قوم منهم بفضلها وهم عرب المشرق وقوم يلفون منها الليث والأخدع حاكوا بها عمائم زناته من أمم البربر قبلهم⁶ »

¹ مصطفى بن عريب، المرجع السابق، ص 107-108.

² المرجع نفسه، ص 114.

³ المرجع نفسه، ص 114-115.

⁴ عبد الرحمن بن خلدون، ج6، المصدر السابق، ص 151.

⁵ مصطفى بن عريب، المرجع السابق، ص 132.

⁶ عبد الرحمان ابن خلدون، ج 2، المصدر السابق، ص 17.

اما الحسن الوزان فقد اشار الى بعض العادات التي أخذها العرب الهلالية عن البربر حيث يقول: « أن نساء هؤلاء الأعراب، أنهن قبل الزفاف إلى أزواجهن يخضبن بالحناء وجوههن وصدورهن وأذرعهن وأيديهن إلى رؤوس الأصابع لأن ذلك مستحسن عندهن، وقد اتخذ العرب المستعجمة هذه العادة عندما انتقلوا لي سكني هذه البلاد الأفريقية، ولم تكن معروفة لديهم من قبل، غير أن الحضريين وأشرف البلاد لم يتبعوا هذه العادة »¹.

كما أشار الحسن الوزان إلى استعمال النساء العربيات لباس حسن حسب عادة البلاد وهو قميص أسود واسع الأكمام، يجعلن فوقه خمارا أسود أو أزرق يلتحفن به ويجعلن هديه على أكتافهن من أمام ومن خلف حيث يمسك بمشبك فضي مصنوع بطريقة فنية ويضعن أقرطا عديدة من الفضة في أذنهن وخواتم في أصابعهن وأساور في أيديهن وخلخل في أرجلهن على عادة الأفارقة، إلا أن نساءهم يرتدين حلا تختلف قليلا عن حل النساء النوميديات،² وهو ما يعني وجود نوع من التمايز بين لباس العربيات والبربريات.

وما يلاحظ في هذا المقام التنوع الإجتماعي في المغرب الاسلامي نتيجة التمايز في بعض العادات والتقاليد بسبب الاختلاف بين العرب والبربر في العادات والتقاليد واللغة.

ولقد بلغ التأثير والتأثير بينهم أن أخذ العرب عن البربر بعض تقنيات الأسلحة، كما وجب الإشارة إلى بعض العادات التي أتى بها الهلاليون إلى بلاد المغرب،³ وفي إشارة إلى الحسن الوزان الذي أورد عنهم أنهم يحملون نساءهم على هودج كالسلال تغطي بزرابي جميلة جدا، وهذه الهودج صغيرة لا يسع إلا امرأة واحدة ويصطحبون نساءهم في حروبهم لتزداد شجاعتهم ويقل خوفهم.⁴

وبالحضور الهلالي بالمغرب وفدت معهم أيضا ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم والتي أخذت منحى آخر بفضل الاحتكاك والاندماج البربري الهلالي، فلا ريب أن مشاركة العرب

¹ الحسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ص 64.

² المصدر نفسه، ص ص 62-64.

³ مصطفى بن عريب، المرجع السابق، ص ص 115-131.

⁴ الحسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ص 64.

الهلالية للقبائل البربرية في أوطانهم من جهة وتشابه نشاطهم القائم على النجعة مع شرائح واسعة من المجتمع من جهة ثانية، قد أدى إلى وجود الاندماج والتفاعل في بناء علاقات التأثير والتأثر التي كان لها عميق الأثر على بنية المجتمع المغربي بعد الحضور الهلالي¹. وصفوة القول أن هجرة بني هلال من تلك الهجرات العالمية التي أحدثت تغيرا جذريا في التكوين البشري للمناطق التي استقرت بها، بحيث استطاعت أن تعطي لها وجها سكنيا جديدا وتمازجا في الأعراف ووجها ثقافيا ونظام حياتها الموسوم بطبيعة نظام الحياة الرعوية².

2- الثقافة الوافدة مع الهلاليين (اللهجة الهلالية والشعر الهلالي)

2-1- اللهجة الهلالية:

إن أغلب الدراسات التي تناولت الحضور الهلالي ركزت على التاريخ السياسي للظاهرة وأهملت الرصيد الهلالي الثقافي والحضاري وأثره على المجتمع البربري³. فقد أكد التاريخ أن هجرة بني هلال وبني سليم للمغرب كانت إيجابية لأنها ساهمت بحسم في تعريب أقطار المغرب العربي⁴ وترسيخ اللغة العربية فيها فكان لهم الفضل في نشر الدم العربي واللسان العربي⁵، وهذا أدى إلى طبع المغرب بطباعه الأبدى الخالد، طابع العروبة والإسلام⁶، فلقد تعرب قسم كبير من بلاد البربر⁷ إذ تعممت اللغة العربية بعدما كان استعمالها مقتصرًا على الدواوين الرسمية، والثابت تاريخيا أن اللغة البربرية كانت هي السائدة في بلاد المغرب، لكن بعد دخول العرب هذه البلاد جعل السيادة للغة العربية⁸.

¹ مصطفى بن عريب، المرجع السابق، ص 118.

² تومية قوراري، المرجع السابق، ص 8.

³ مصطفى بن عريب، المرجع السابق، ص 106.

⁴ قداري بن ديدة، المرجع السابق، ص 58.

⁵ تومية قوراري، المرجع السابق، ص 7.

⁶ قداري بن ديدة، المرجع السابق، ص 58.

⁷ غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 232.

⁸ محمد صديقي، المرجع السابق، ص 85.

وقد تجلّى تأثيرهم اللغوي في نشر لغة التخاطب بين القبائل المغربية حيث قامت بدور حاسم في بلاد المغرب أثناء الدولة الحمادية على إثر هجرة بني هلال وبني سليم إلى إفريقيا،¹ إذ استطاع الطابع العربي أن يغلب على ثقافة المغربية منذ حلول بني هلال بالمغرب الإسلامي² فاستحكمت عروبة الألسنة بالمنطقة وهيمنت على كل جزء من أجزائها، فساعدت بذلك أن تكون لتلك البلاد شخصيتها العربية الواضحة³ وإن التعريب قد سلك سبلا مختلفة وإن يكن جرى التمهيد له بفرص النطق العربي بتلك الجملة المعدودة اللازمة للدخول في الإسلام فالقرآن هو وحي مباشر من الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي أن يلحقه أي تحريف، ولذلك لا يجوز ترجمته، فيكون اللسان العربي والكتابة العربية بالنتيجة شيئين مقدسين وهذه الهالة من القداسة، ساهمت في التعريب اللغوي⁴ ولقد لعبت قبائل بني هلال دورا حضاريا بارزا في انتشار اللهجة العربية ببلاد المغرب وهي مختلفة عن تجربة التعريب التي تعود لمرحلة الفتح الإسلامي، تسلت اللهجة الهلالية في الضواحي والبوادي والأرياف، وإلى القبائل البربرية الضعيفة من حيث العصبية وذلك بحكم مجاورتهم، ومن قرائن ذلك انتقال قبائل هوارة إلى اللسان العربي،⁵ فالتعريب وقع في البداية على قبائل البربر من الرحل خاصة قبيلة زناتة، وقد كان تعريبها كاملا حتى أنه لم يبق اليوم على شيء من لهجات الرحل زناتة، ولقد يسر حركة التعريب التطابق في أنماط العيش وهذا عامل قوي من عوامل التعريب وبموازاة لتعريب البدو، قد صار إلى اتساع مستمر،⁶ كما أن انتشار القبائل الهلالية في أوساط المجتمع المغاربي ساعد في تعميم حركة التعريب بين القرى والبوادي،⁷ كما أن احتكاكهم الدائم لبعض فروع قبيلة زناتة بالصحراء وغيرها عاملا

¹ تومية قوراري، المرجع السابق، ص 7.

² قداري بن ديدة، المرجع السابق، ص 55.

³ مبارك بشير، المرجع السابق، ص 26.

⁴ غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 130.

⁵ مصطفى بن عريب، المرجع السابق، ص 118.

⁶ غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 131-232.

⁷ محمد ابراهيم، عبد الجنابي، المرجع السابق، ص 155.

فعلا على تعريبها،¹ على عكس استقرار عرب الفتح بالمدن دون الوادي، الذي لم يضيف إلى أي احتكاك ثقافي كبير بينهم وبين أمة البربر بوجه عام كون أعدادهم قليلة.² وما يمكن ملاحظته في هذا المقال أن القبائل الهلالية الوافدة إلى المغرب تحولت في نظر الكثير من المؤرخين إلى رسالة ثقافية لغوية استفاد منها سكان المغرب الإسلامي عامة.

وأما اللهجات التي مازالت تتمتع بشيء من الحياة فهي التي لا يزال يتكلمها زناة المقيمون إما في الجبال "الونشريس" أو في واحات شمال الصحراء <مزاب>³ ويعتقد بأن الجبال لم تكن حصونا ومعازل لمقاومة التعريب فحسب بل كانت كذلك ملاذات حقيقية قد تجمع فيها المزارعون الهاربون من السهول التي تعرضت لنهب الرعات من الرحل⁴ ورغم أن الكثير من الدراسات تناولت دور بني هلال في تعريب بلاد المغرب إلا أننا لا نجد في ضمنها مميزات اللغة التي أتى بها الهلاليون⁵ فكما تأثر البربر بالعرب وأخذوا لغتهم، أثروا أيضا إلى حد ما في العرب ولغتهم⁶ إذ تأثرت اللغة العربية على المستوى الصوتي والتركيبى باللهجات البربرية فصار اللسان الذي لهج به بنو هلال في معظم الأماكن لهجة شعبية⁷ وهذا ما أشار إليه ابن خلدون: «فسدت اللغات من بعد بحسب ما خالطها ومازجها من العجمة فكانت تحيل العرب بأنفسهم لغة خالفت لغة سلفهم من مضر في الأعراب جملة وفي كثير من الموضوعات اللغوية وبناء الكلمات وكذلك الحضر أهل الأمصار نشأت فيهم لغة أخرى خالفت لسان مضر في الأعراب وأكثر الأوضاع والتصارييف وخالفت أيضا لغة الجيل من العرب لهذا العهد واختلفت هي في نفسها بحسب اصطلاحات أهل الأفارق

¹ تومية قرطاري المرجع السابق، ص 8.

² مصطفى بن عريب، المرجع السابق، ص 107.

³ غابريا كاميس، المرجع السابق، ص 232.

⁴ المرجع نفسه، ص 234.

⁵ مصطفى بن عريب، المرجع السابق، ص 108.

⁶ قداري بن ديدة، المرجع السابق، ص 58.

⁷ مصطفى بن عريب، المرجع السابق، ص 120.

للأهل المشرق وأمصاره لغة غير أهل المغرب وأمصاره»¹، حيث تناول ابن خلدون فساد اللسان العربي بعد اختلاطهم بالعجم مبينا حصول التغيير في لسان مضر ومن ذلك شأنهم بالنطق بالقاف والتي ينطقونها متوسطة بين الكاف والقاف خلافا لما هو مذكر في كتب العربية مبينا استعمال الجيل الباقيين من ولد منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان من سليم بن منصور ومن بني عامر بن صعصعة بن بكر بن هوزان لهذه اللغة² ولكن هناك من ضل محافظا على اللغة الفصحى وعرب برقه اليوم أفصح عرب رأيناهم³.

أما غابريال كامبس فقد أشار أن التعريب خلال الحقبة الأولى تم في بعض المدن المغربية خاصة الساحلية التي أخذت على لغة عربية أقرب إلى الفصحى لكن التدفق الذي كان عليها من الأندلسيين غير العربيين الحضرية، والفصحى صارت في معظم الأماكن تغلب عليها لغة أخرى أكثر شعبية، لغة خشنة تخالطت مع مفردات بربرية، وتتميز هذه العربية اللهجية نفسها بتنوع كبير وهي تعتبر في الواقع الصورة اللغوية للتعريب الذي تم في المغرب الكبير وإنما لغة انحدرت من اللغة البدوية التي أدخلتها القبائل الهلالية،⁴ ومن هنا نعتقد أن لسان الهلاليين واللغة التي نشروها ببلاد المغرب لم تكن فصيحة بل كانت أقرب منها إلى اللهجة، لأن التعريب مقترن بعلم اللغة العربية وبالتالي فهم أبعد عن تعريب المجتمع المغربي، والذي اقترن وارتبط باللغة العربية من خلال حفظ القرآن والاندماج في منظومة العلوم الإسلامية الأخرى.⁵

¹ عبد الرحمن ابن خلدون، ج1، المصدر السابق، ص 805.

² مصطفى بن عريب، المرجع السابق، ص 108.

³ قداري بن ديدة، المرجع السابق، ص 58.

⁴ غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 230.

⁵ مصطفى بن عريب، المرجع السابق، ص 109.

2-2 الشعر الهلالي:

الأدب الهلالي واقع لا لبس فيه ولا غموض فالجماعات الهلالية المهاجرة إلى بلاد المغرب أنشأت أدبا خاصا بالهجرة بقاء من منتصف القرن 11م احتضنت به الذاكرة الجماعية وتفرعت عنه أديات أخرى وروايات، فضلا عما نقلته تلك الجماعة من تراث شبه الجزيرة العربية الأدبي والعقدي بما فيه الجاهلي خلال محطات الهجرة وأثناء وبعد استقرارهم الاجتماعي¹.

ونقصد بالأدب الهلالي كل أشكال التعبير الأدبي الشفهي المنسوب إلى القبيلة الهلالية العربية العتيدة ومن معها من القبائل العربية المنضوية تحت لوائها أثناء الهجرة إلى بلاد المغاربية، وهو أدب ثري يشمل كل الأنواع الأدبية².

فقد تميز الشعر الهلالي بوجود أساليب الشعر وفنونه ماعدا حركات الإعراب في أواخر الكلام، فإن غالب كلماتهم موقوفة الآخر، ويتميز عندهم الفاعل من المفعول من المبتدأ من الخبر بقرائن الكلام لا بحركات الإعراب³، يمكننا التأكيد على ارتباط الشعر المرتجل الذي يستعمل ألفاظ دارجة بالشعراء الهلاليين، أما الهادي روجي إدريس فلقد جعل الوجود الهلالي سببا في اتجاه جديد نحو اكتساب الشعر صبغة بدوية، ويشير ابن خلدون إلى استحسان المغاربة لشعر الزجل الذي ولعوا به وأضافوا له أنواعا جديدة⁴.

وقد قال ابن خلدون في هذا المقال: « بل كل جيل وأهل كل لغة من العرب المستعجمة والحضري وأهل الأمصار يتعاطون منه ما يطاوعهم في انتحاله ورصف بنائه على صيغ كلامهم »⁵

¹ عزي بوخالفة: "نواة الادب الهلالي بين ابن خلدون ونصوص الشفهية الجزائرية"، حوليات جامعة الجزائر، ع22، جامعة الجزائر1، بن يوسف بن خدة، الجزائر، جويلية2012، ص 275.

² نفس المرجع، ص 276.

³ عبد الرحمن ابن خلدون، ج1، المصدر السابق، ص 806-807.

⁴ مصطفى بن عريب، المرجع السابق، ص 109-110.

⁵ عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 805.

ولقد كان المغاربة الأكثر اعتناء بالأزجال إذا لم تكن المشاركة تحسنه¹ كما أشار الحسن الوزان إلى الشعر الهلالي الذي تناول يوميات صيدهم وعواطفهم في الغزل والرقعة والطرف،² وإن هذا الواقع الثقافي وإن لم يكن يرحب به في المدن والأمصار في المغرب فإنه طبع الواقع الثقافي للبادية وأضحى من سماتها الأساسية رغم استهجائه من طرف النخب والشيوخ بالمدن، إلا أنه بعد القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي يأخذ طريقه في التسرب إلى المدن المغاربية عن طريقة الطبقة الهلالية الذين أخذوا يقصدون المدينة لنهل عن المشيخة إلا أن ذلك كان له نتائج غير مرضية على اللغة ورسم الخط وغيرها.³

ولقد ازدهر الأدب الشعبي وأصبح بعد استقرار بني هلال يكاد يكون عنصرا هاما من عناصر المجتمع المادي في مجال الأدب الشعبي ولا يزال الادب الشعبي إلى الوقت الحاضر يلعب دورا في الساحة الأدبية ويعتبر امتداد للأدب إثر الحملة الهلالية.⁴

¹ مصطفى بن عريب، المرجع السابق، ص 110.

² حسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ص 62.

³ مصطفى بن عريب، المرجع السابق، ص 111.

⁴ تومية قوراري، المرجع السابق، ص 8.

خاتمة



خاتمة:

من خلال دراسة عادات المجتمع المغاربي بين الموروث البربري المحلي والمؤثرات العربية الواحدة، يمكن الوصول إلى مجموعة من النتائج منها:

إن المعتقدات الدينية المحلية بالمغرب القديم كانت معتقدات غنية، تعكس نظرة الإنسان القديم إلى الكون والطبيعة، أدى ذلك إلى إبداعه لمختلف أشكال العبادة والتقديس للتقرب من هذه القوى، إذ أن مظاهر التقديس لدى الشعوب القديمة خرجت من منبع واحد وهو رغبة الإنسان في التقرب من القوى المحيطة به والمسيطرة على حياته، ويظهر أن الممارسات الدينية ذات الأصل المحلي قد تميزت بتعدد وتنوع المعبودات حيث قدس المغاربة القدماء كائنات مختلفة ومنها قوى الطبيعة مثل الشمس والقمر والكهوف والحجارة... الخ، وأخرى تنتمي إلى مملكة الحيوان مثل القرد والثعبان والكبش... الخ، وقوي من عالم غير محسوس كالأرواح والجن كما تنوعت طرق ووسائل عبادته لها حيث مارس طقوسا سحرية ودينية واتخاذ التعويذات وأعمال وأقوال لاستدرار المطر إلى جانب الطقوس الجنائزية بما تتضمنه من عملية للدفن وطرقها وتنوعها.

تقوم الروابط الاجتماعية من خلال العادات والتقاليد والأعراف التي نشأت من الاحتكاك اليومي بالبيئة الطبيعية والاجتماعية وكانت الأعراف أحد الأركان الأساسية التي يتأسس عليها المجتمع وتنشأ عليها النظم الاجتماعية.

وقد عرف المجتمع المغاربي مختلف ألوان الطعام وجدهم المسلمون يتناولونها أشهرها البسيصة والكسكس والثريد والفريك والعصيدة... الخ والتي تحضر بكيفيات مختلفة وهي المأكولات الشائعة في ذلك الوقت ماداموا يعتمدون على نفس الخضار والحبوب والفواكه في طعامهم، أما شرابهم فكانوا يستخلصونه من الفواكه كالعنب والمشمش ومن جذور النباتات الطبيعية كزريعة الكرفس وزريعة الورد... الخ إضافة إلى شراب النبيذ والخمر.

ولقد كان للبربر على وجه الخصوص لباس معروف وزبي خاص يعرفون به، حيث تنافسوا في لبس فاخر الثياب والتي لم تخرج في معظمها عن لباس أهل المغرب عموما



كالبرنس والعباءات والسراويل... الخ، إلا أن الحضارة قد أثرت فيه فظهرت ملابس وأزياء مختلفة، كما تختلف ملابس سكان بلاد المغرب باختلاف البيئة الجغرافية، فسكان المنطقة الجبلية والأرياف والبادية يحتاجون إلى ملابس صوفية تقيهم قر البرد، أما سكان الصحراء وتخومها الشمالية حيث الحرارة والشمس المحرقة فيكون اللباس خفيفا يستر عورتهم، كما تميز سكان المدن بصفة عامة بالألبسة الأنيقة والرفيعة والجميلة بينما أهل البوادي الألبسة الخشنة والبسيطة من الصوف والكتان حسب طبيعة خلقهم ودرجة تحضرهم.

إن التنظيم الاجتماعي للبربر يتشابه مع التنظيم العربي في عدة مجالات كالسكن والملبس والمعاش، بحيث اتخذوا البيوت من الحجارة والطين وجذوع الشجر والخيم شأنهم شأن العرب، إضافة إلى أن البربر يتخذون مساكنهم بحسب المناطق والبيئات التي يعيشون فيها.

ولقد تميز المجتمع المغاربي بطابع وخصائص جعلته مميز فرغم شبهه الكبير بالقبائل العربية من ناحية البناء وترتيب القبيلة، لكن تميز بطابع مختلف فكانت هناك عادات وتقاليد لدى المجتمع المغاربي بعضها حسنة مثل مظاهر التضامن والولاء للقبيلة لدرجة الموت من أجلها، والشرف والكرم والفروسية وحسن الجوار... الخ، وأخرى سيئة مثل العصبية والثأر والغزو... الخ، كما أن المرأة البربرية كانت ملكة المجتمع البربري إذ كانت لها مكانة مرموقة داخل مجتمعهم.

ولقد حاول المجتمع المغاربي التمسك ببنائه القديم الذي بقي محافظا عليه طوال قرون من الزمن ولكنه تأثر مع مرور الزمن ببعض السلوكيات التي جاء بها الوافدين من العهد الفينيقي حتى العهد البيزنطي، ولكن حافظ على بنائه الاجتماعي، إلا أن دخول العرب الفاتحين تعدو مرحلة التأثير الحضاري وأثروا حتى على البناء الاجتماعي داخل المجتمع المغاربي، فالتأثير واضح في بعض العادات الاحتفالية في المجتمع المغاربي ترجع بعضها إلى عرب المشرق كالأندلسيين وما نقلوه معهم من عادات وأعياد وممارسات خاصة بهم، إذ ان المجتمع المغاربي تأثر بالعديد من الأعياد والاحتفالات التي أغلبها منبثقة عن الدين



الإسلامي وشعائرها مرتبطة بما جاء به الشرع مثل الاحتفال برمضان وليلة القدر وعاشوراء ويوم الجمعة إضافة إلى الاحتفال بعيد الفطر والأضحى وموكب الحج والمولد النبوي كما أن المجتمع المغربي له احتفالات مدنية المتمثلة في العقيقة وختان الأطفال إضافة إلى الاحتفالات العسكرية حيث أن بعض العادات الاحتفالية عند المغاربة قد أصبحت أمور ملزمة وواجبة يقوم بها المحتفلون، أما عن هوية هذه العادات بشقيها الديني والمدني والعسكري، فقد مسها نوع من التداخل والتأثر ببعض الروافد كالحضور الهلالي والأندلسي داخل المجتمع المغربي.

وإن المجتمع المغربي تعرض لتطورات دينية واجتماعية وثقافية أكسبته عادات وتقاليد جديدة أدت إلى تنوع التراث المغربي، غير أن هذه التطورات والتغيرات ظلت عاجزة في أن تصيب بعناصرها الثقافة المحلية والمتمثلة في بعض العادات والتقاليد اللصيقة بالذات المحلية، حيث ضل المجتمع المغربي محافظ على تراث أجداده التي قدسها واعتبر عدم الاحتفال بها أمر سيئ ثقافيا وحتى عقائديا، إذ أن الدين الإسلامي عند دخوله إلى المغرب حاول إزالة كل الأشكال الوثنية لكن هذه الأمر بقي مستعصيا عليه إلى يومنا هذا فالعادات الشعبية هي الأفكار الاجتماعية المنكرة التي يمارسها الأعضاء المختلفون في الجماعة أو المجتمع المحلي.

فرغم التطور الحضاري والثقافي والعلمي إلا أن التفكير الخرافي لا يزال سائدا في مجتمعاتنا، ولا يزال الناس متمسكين بتلك العادات المستمدة من الأساطير والخرافات ويخافون تركها وهذا ما يفسر بقاء المغاربة متمسكين بتراث أجدادهم البربر القداماء إذ ارتبطت البدع والانحرافات العقدية بجانبين وهما: المعتقد الديني الذي يرفض تماما الأفكار المخالفة للسنة، والموروث الشعبي الوثني، الذي تعلق به المغاربة منذ العصور القديمة وتمسكوا به وإن كان مخالفا للشرع وهذه النقطة ارتبطت بذهنية العامة وجل البدع انصبت في ظل العادات والتقاليد لأغراض مهنية كالتنبؤ بالغيب أو المستقبل سواء عن طريق فك الرموز ودلالات كتف شاة.



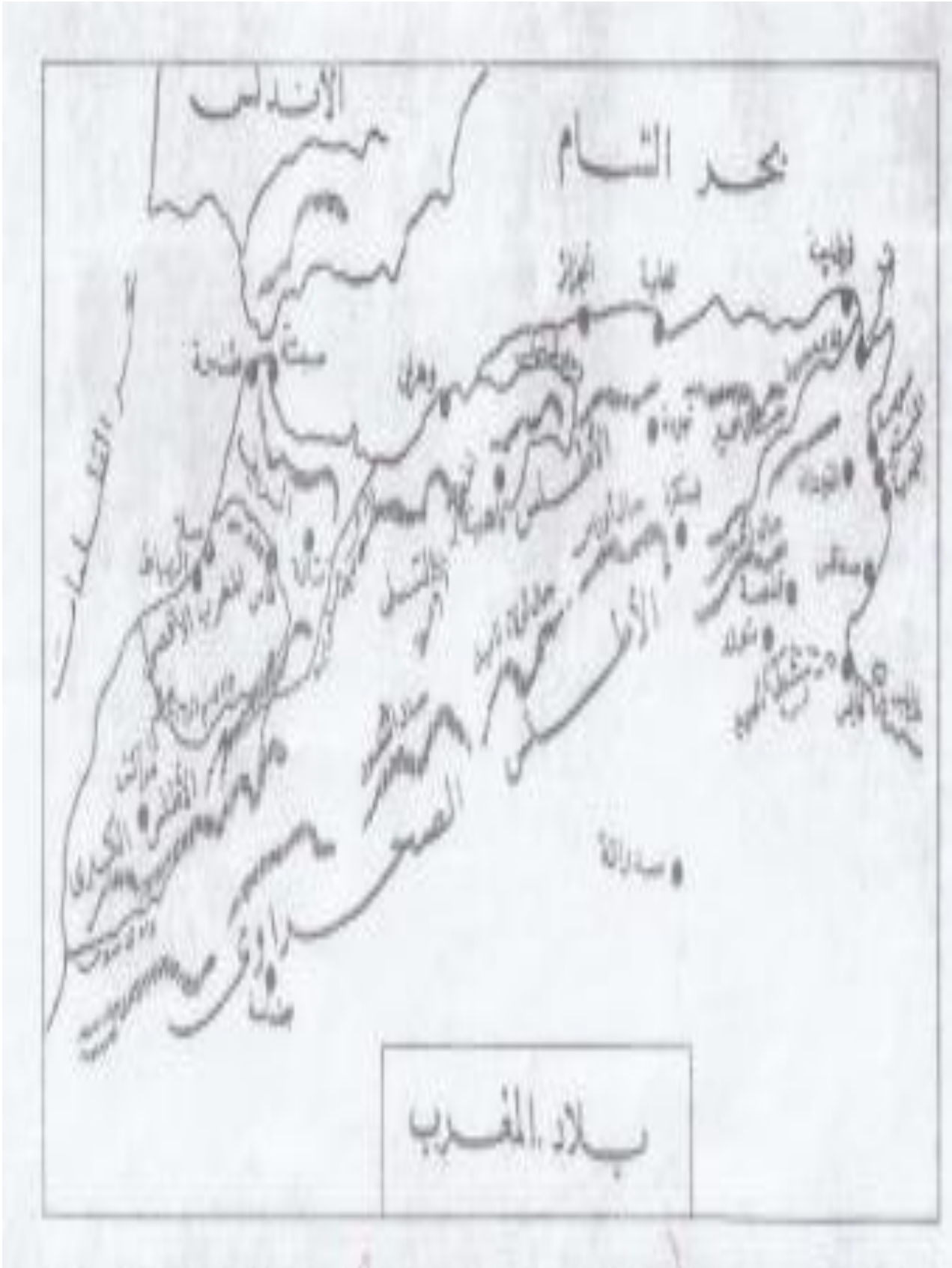
وامتد التأثير الأندلسي إلى مجالات كثيرة ففي المجال الاجتماعي كانت عناصر التأثيرات الأندلسية قوية تركزت آثارها في كل المجالات فأظهر أهل المغرب كثير من السلوكات الإجتماعية مثل الاحتفالات الموسيقية والغناء والرقص والملابس والطعام وترتيب المائدة.

وإن الهجرة الهلالية في الفترة الوسيطة تعتبر أهم حدث عرفته بلاد المغرب فهي التي أثرت أكثر من الفتح الإسلامي، تأثيرا طبع المغرب بطابع لم يمحه الزمن، وإذا كان الفتح الإسلامي للمغرب حوله إلى بلد مسلم فإن الحضور الهلالي حوله إلى بلد عربي، إذ أن الهجرة الهلالية أحدثت تعديلات في بلاد المغرب جنسيا حولته إلى شعب تجري في عروقه دماء العرب وكان تأثيرهم في البربر اجتماعيا ولغويا وجنسيا وثقافيا.

وَاللَّهُ



الملحق رقم (01): يوضح الحدود الجغرافية لبلاد المغرب الإسلامي¹.



¹ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص500.



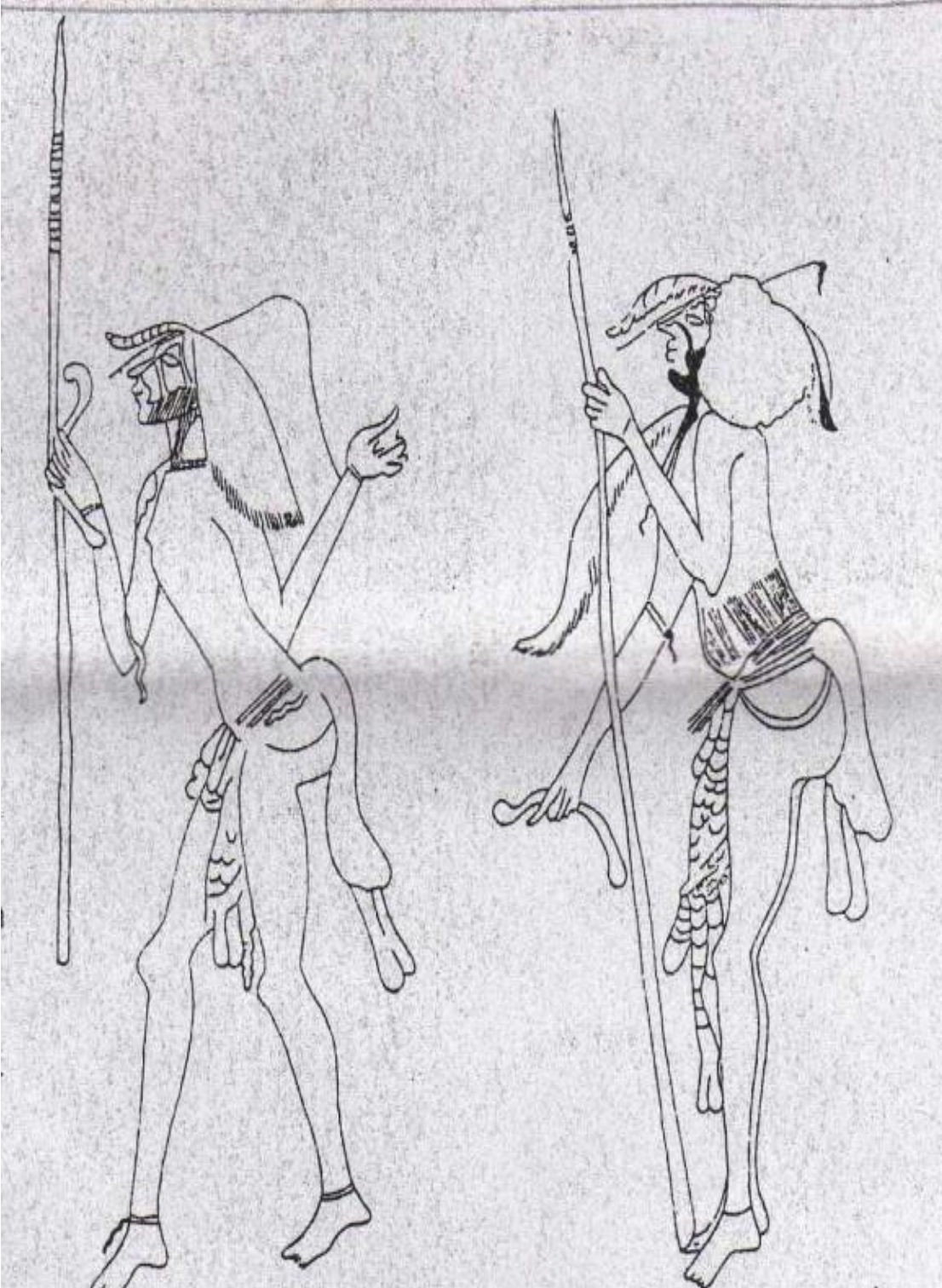
الملحق رقم 02: دمية تجسد اله المطر أنزار¹



¹ عبد المجيد أمريغ، وعبد الهادي فك، ونور الدين زيادات، المرجع السابق، ص 30.



الملحق رقم (03): جراب العورة وذيل الحيوان وعلى رأسيهما ريش¹.



¹ أم الخير العقون، المرجع السابق، ص 114.



الملحق رقم (04): رجلان على رأسيهما ريشتين لأحدهما لحية مدببة يلبسان عباءتين من جلد الحيوان¹.



¹ أم الخير العقون، المرجع السابق، ص 113.



الملحق رقم (05): القشابية¹.



¹ خالد حمادي، جبارية عبوب، الصناعات التقليدية جسر اصالة بين الجلفة وغرداية البرنوس والقشابية الجلفاوية _ الزربية الغرداوية، رسالة ماستر، تخصص إذاعة وتلفزيون، إشراف ليليا بورنودة، قسم علوم الاعلام والاتصال، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرياح - ورقلة، 2016م/2017م، ص 22.



الملحق رقم (06): البرنوس¹.



¹ خالد حمادي، المرجع السابق، ص 22.

قائمة

المصانير والمراد جمع



أولاً: المصادر

1. ابن خلدون عبد الرحمان أبو زيد (ت808هـ/1405م)، تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، ج1، ج2، ج6، تر، د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000م.
2. ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت1092هـ/1681م)، المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، 1686هـ.
3. العمري شهاب الدين ابن فضل الله (ت749هـ/1291م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج4، ط1، تح، كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2010م.
4. عياض (القاضي) بن موسى بن عياض السبتي (ت1191/544م)، ترتيب المدارك، المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، ج8، تح، سعيد احمد اعراب، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، المملكة المغربية، 1403.
5. القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي (ت821هـ)، نهاية الآداب في معرفة أنساب العرب، ج1، ط2، تح، إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبنانية، بيروت، 1980م.
6. هيرودوت، التواريخ، الكتاب الرابع، الفقرة 188، نصوص ليبية، تر، علي فهمي خشيم، دار مكتبة الفكر، طرابلس- ليبيا، 1967م.
7. الوزان الحسين بن محمد الفاسي (ت957هـ)، وصف إفريقيا، ج1، ط2، تر، محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1983م.
8. الونشريسي أبي العباس بن يحيى (ت914)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقيا والأندلس والغرب، ج1، ج3، ج11، اشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، الرباط، ودار الغرب الإسلامي- بيروت، 1401هـ/1981م.

ثانيا: المراجع.

9. أعشى مصطفى، احاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2009م.
10. أوسوس محمد، دراسات في المثني الأمازيغي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007م.
11. البرغوثي عبد اللطيف محمود، التاريخ اليبى القديم (من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي)، ج1، أعده للنشر، تامغناست، طرابلس، 1967م.
12. جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية من البدء إلى الفتح الإسلامي، 647م، ج1، مزالي تع محمد، البشير بن سلامة، مؤسسة تاوالت الثقافية، 1968م.
13. الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ج1، ط2، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1965م.
14. حركات ابراهيم، المغرب عبر التاريخ، ج2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000.
15. حقي محمد، البربر في الأندلس (دراسة لتاريخ مجموعة إثنية منالفتح إلى سقوط الخلافة الأموية 92هـ-711هـ - 422هـ/1031م)، ط1، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، 2001.
16. حمداوي جميل، المعتقدات الدينية عند الأمازيغ، ط1، المملكة المغربية، 2017م.
17. طقوش محمد سهل، تاريخ العرب قبيل الاسلام، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2009م.
18. غانم محمد الصغير، الملامح الباكر للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدي، عين مليلة، الجزائر، 2005م.

19. الفرخ محمد حسين، عروبة البربر تاريخ ودلائل انتقال البربر من اليمن إلى بلاد المغرب والجذور العربية اليمنية لقبائل البربر، إصدارات تريم عاصمة الثقافة الإسلامية، صنعاء، 2004م.
20. الفقي عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة النهضة الشرق، القاهرة- مصر، 1984م.
21. كامب غابرييل، البربر ذاكرة وهوية، تر، عبد الرحيم حزل، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2010م، ص 13.
22. كامبس غابرييل، في أصول بلاد البربر (ماسينيسا أو بدايات التاريخ)، تر، العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010م.
23. الكعاك عثمان، البربر، أعده للنشر، تامنغاست، (د . م)، جمادي الأولى 1375هـ.
24. مارمول كاربخال، إفريقيا، ج1، تر، عمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف، الرباط- المغرب.
25. مفاخر البربر، ط1، تح، عبد القادر بوباية، دار أبي رقرق، الرباط، 2005م.
26. مؤنس حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط1، مؤسسة المعارف، القاهرة، 1980م.
27. يوسف جودت عبد الكريم، الوضع الاقتصادي والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع هجري (9-10م) (د.م.ج)، بن عكنون، الجزائر، (د.ت.).
- ثالثا: المقالات (الدوريات)**
28. الأصولي أصيل الصيف، "العرب والعاربة والمستعربة، أصل التسمية وتاريخها"، مجلة كان التاريخية، العدد 03، دار ناشري، (ب.م)، مارس 2009م.
29. أمرغ عبد المجيد، الفك عبد الهاد علي، أزيدات نور الدين، "المعتقدات الدينية المحلية بالمغرب القديم"، مجلة ليكسوس، في التاريخ والعلوم الانسانية، المملكة المغربية، مارس، 2017م.

30. بشير مبارك، "العنصر العربي بالمسيلة وقلعة بني حماد، خلال العصر الوسيط) قراءة في الأدوار والتأثيرات)" مجلة البحوث والدراسات الانسانية، ع13، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة- الجزائر، 2016.
31. بوخالفة عزي، " نواة الادب الهلالي بين ابن خلدون ونصوص الشفهية الجزائرية"، حوليات جامعة الجزائر، ع22، جامعة الجزائر1، بن يوسف بن خدة، الجزائر، جويلية2012.
32. خالد مسعود، " أثر العربية والبربرية على الحياة الاجتماعية في السودان الأوسط والمغربي بين القرنين 5-10هـ/11-16م"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قالمة 8 ماي 1945.
33. طوهارة فؤاد، "الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط السياق التاريخي والمجال الجغرافي"، مجلة الحوليات التراث، ع15، جامعة مستغانم، الجزائر، 2015م.
34. عبد الحنابي محمد ابراهيم، عدنان محمود عبد الغني الشاوي،" مكونات المجتمع ومفردات الحياة العامة في المغرب الاقصى من خلال كتاب الذخيرة السنية لابن ابي زرع الفاسي"، مجلة الملوية للدراسات الاثارية والتاريخي، مج4، ع10، السنة الرابعة، تشرين الثاني 2017.
35. العقون أم الخير، "من مصادر تاريخ المغرب القديم، الرسوم الصخرية والآثار المصرية"، مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، 2016م.
36. محمدي مريم لمام، "العادات والتقاليد الأسرية بقصر تمرنة (ولاية الوادي) بين الاستمرارية والتغيير"، مجلة إنسانيات، العدد 59، جانفي- مارس 2013.
37. مساعدة لزهري، " في مفهوم الثقافة وبعض مكوناتها (العادات، التقاليد، الأعراف)"، مجلة الذاكرة، ع التاسع، تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأدبي، الجزائر، جوان 2017.
38. مؤمن علي، مؤمن إدريس، "المظاهر الحضارية للمجتمع الليبي القديم، المجلة الليبية العالمية"، ع 27، جامعة بنغازي، كلية التربية، المرح2-9 - 2017م.

39. هشام محمد هشام، جلائي مريم، "العادات والتقاليد النبوية في رواية (اللعب فوق حبال النوبة)"، مجلة دراسات في العلوم الانسانية، مصر، 12-09-1937.

المحاضرات:

1. قويسم محمد، دراسات في التاريخ الوسيط (طلبة السنة الثانية تاريخ نظام ل م د جديد)،
قسم العلوم الإنسانية- شعبة التاريخ، جامعة 20 أوت 1955م، سكيكدة- الجزائر،
2015م-2016م

رابعاً: الموسوعات والقواميس

40. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين النصارى الخزرجي (ت 711هـ)، لسان العرب،
ج2، ط2، دار صادر، بيروت، 1414هـ.
41. عبد اللطيف محمد، جمال الدين، الموسوعة الإسلامية العامة، إشراف أ.محمد حمدي
زفروف، مطابع التجارية، القاهرة- مصر، 2001م.

خامساً: الرسائل الجامعية

42. اسعد فايزة، العادات الاجتماعية والتقاليد في الوسط الحضري بين التقليد والحداثة
(مقارنة سوسيو- أنثروبولوجية لعادات الزواج والختان مدينتي وهران وندرومة نموذجاً)،
أطروحة دكتوراه، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران،
2011م/2012م.

43. باديس أوكيل مصطفى، انتشار الإسلام في بلاد المغرب وآثاره على المجتمع خلال
القرن 1هـ، رسالة ماجستير، تخصص التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية
والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2005/2006م.

44. بديرة عادل، بادية المغرب الأوسط في العصر الوسيط (دراسة للواقع الاقتصادي
والاجتماعي وتأثيرها على السلوك والذهنيات من القرن 4 إلى 7هـ / 10 إلى 13م)، رسالة
ماجستير، تخصص تاريخ ووسط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة
محمد بوضياف، المسيلة، 2017م/2018م.

45. بكاي عبد المالك، الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 7-10هـ/13-16م، رسالة دكتوراه، في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013م-2014م.
46. بلشير عمر، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن 8 إلى 9هـ/12-15م، من خلال كتاب المعيار للونشريسي، رسالة دكتوراه، تخصص التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارية الإسلامية، جامعة وهران، 2009-2016م.
47. بلميلود ناصر، دمدم كريمة، الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين من 541-667هـ/1126-1268م، مذكرة ماستر، تخصص تاريخ وسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، 2014-2015م.
48. بن النية رضا، صنهاجة المغرب الأوسط (من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر 880-699م/362هـ-973م)، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ وسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2005م/2006م.
49. بن ديدة قداري، تأثير الهجرات الهلالية على بلاد المغرب الأوسط (443هـ-555هـ/1052م-1160م) رسالة ماستر، تخصص تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور مولاي الطاهر - سعيدة، 2014/2015.
50. بن عبد المؤمن محمد، عقائد ما بعد الموت عند سكان بلاد المغرب القديم، رسالة الدكتوراه، تخصص تاريخ قديم، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارية والإسلامية، جامعة وهران، 2011م/2012م.
51. بن عريب مصطفى، مجتمع المغرب الأوسط المتغيرات والعلائق (من القرن 4هـ إلى سقوط دولة الموحدية 668هـ-1269م، القرن 10/13م)، رسالة ماجستير، تخصص التاريخ

- الحضاري للمغرب الأوسط، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2016م/2017م.
52. جعفري عز الدين، أطلس العادات والتقاليد بمنطقة توات، أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، 2017م/2018م.
53. حجاب أسماء؛ لعياضي حفيظة، المساهمة الحضارية للممالك الوطنية الأمازيغية في مابين القرنين الثالث (ق م) والأول ميلادي، رسالة الليسانس في التاريخ القديم، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2008م/2009م.
54. حمادي خالد، عبود جبارية، الصناعات التقليدية جسر أصالة بين الجلفة وغرداية البرنوس والقشابية الجلفاوية والزربية الغرداوية، رسالة ماستر، تخصص إذاعة وتلفزيون، قسم العلوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح-ورقلة، -2016/2017م.
55. خلفه عبد الرحمان، الديانة الوثنية المغاربية القديمة، منذ النشأة إلى سقوط قرطاجة 146ق.م، رسالة ماجيستر، تخصص، في التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منوري- قسنطينة، 2007/2008م.
56. دهمش سهيلة، مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي للمغرب الوسيط الزياني (533-962هـ/1235م)، رسالة ماجيستر، تخصص تاريخ وسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2014م/2015م.
57. رحماني موسى، الأوراس في العصر الوسيط من الفتح الإسلامي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر 362/27هـ/637هـ-972م، رسالة ماجيستر، تخصص تاريخ المجتمع المغاربي، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006م/2007م.
58. شنعة خديجة، إعتناق البربر للإسلام، رسالة ماجيستر، تخصص الدين والمجتمع، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة وهران، 2001م/2002م.

59. صديقي محمد، القبيلة في الدولة الزيانية(633-962هـ/1235-1555م)، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ المغرب الاسلامي والحضاري، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الانسانية،جامعة الدكتور طاهر مولاي، سعيدة، 2017-2018م.
60. طهير عبد الكريم، التواصل الحضاري بين الأندلس وبلاد المغرب على عهدي المرابطين والموحدين (ق5-7هـ/11-13م)، رسالة دكتوراه في تاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016م-2017م.
61. عيساوي مها، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم (من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي)، رسالة دكتوراه، تخصص تاريخ المغرب القديم، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009م/2010م.
62. قوراري تومية، مقارنة سيميائية سردية لسيرة بني هلال، رسالة ماجستير تخصص أدب شعبي جزائري، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الأدب واللغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014/2015.
63. محمود علي، عبد اللطيف الجندي، البربر في إفريقية في العصر الأموي 40-136هـ/660-701م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، (د. ت).
64. مرزوقي محمد الأمين، البناء الاجتماعي لبلاد المغرب الإسلامي مع بداية الفتح، رسالة ماجستير، تخصص القرون الوسطى، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2016م/2017م.
65. منجحي سفيان، حويش بلال، العادات الاحتفالية في بلاد المغرب الإسلامي عهد الموحدين خلال القرن 6هـ، رسالة ماجستير، تخصص القرون الوسطى، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف- المسيلة، 2016-2017م.

66. يخلف سامية، الأعياد والاحتفالات في المغرب الإسلامي من القرن 2 هـ -9م / 9هـ -
15م، رسالة ماستر في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة 8 ماي
1945م، 2016-2017.

الفهارس



فهرس الأعلام	
الصفحة	الإسم
أ	
16	أبراهيم عليه السلام
16	أبن اسحاق
16	إسماعيل عليه السلام
13	افريقش
ب	
14	بر بن قيس بن عيدان
12	بطليموس
43	البكري
ج	
13	جالوت
16	الجوهري
ح	
12	ابن حزم الاندلسي
65	ابن حمو موسى الثاني
خ	
-85 -84 -54 -44 -18 -14 -13 91 -89	ابن خلدون
د	
58	ابي دينار
س	
18 - 17	سابير ادوارد
12	سالوست
41	ستغ الاول



ط	
16	الطبري
ع	
76	عثمان ابن عفان رضي الله عنه
63	عثمان المريني أبو
77	عياض (القاضي)
51	العيسي خالد بن يزيد
غ	
89	غابريال كامبس
ك	
51- 37	الكاھنة
13	ابي كرب سعيد تبع
13	كنعان بن حام بن نوح
م	
17	مالينوفسي
67	محمد بن عبد الله بن عبد الجليل الحافظ
62	ابي مدين شعيب
19	مذيع بن كنعان بن حام بن نوح
27	مسينيسا
80	أبو مصطفى
42	المقديسي
ن	
12	نوح عليه السلام
هـ	
90 - 84	الهادي روجر ادريس
-31 -28 -26 -25 -22 -13 -12	هيرو دوت



49 -47 -40 -35	
و	
91 -85 -84 -77 -74 -35	الوزان الحسن بن محمد
80 -72 -71 -69 -67 -58	الونشريسي
ي	
13	ينعم ياسر
51	يوغرة



فهرس الأماكن	
أ	
12	اسبانيا
10	الاسكندرية
-39 -37 -36 -32 -13 -11 -10 49- 48	إفريقيا
-78 -77 -73 -68-67 -61 -10 80 -79	الأندلس
52 -45	الأوراس
45	أوربا
ب	
10	بجاية
09-10	البحر الرومي
09	بحر القلزم
-68-62-61-54-30-11-10-09 87-83-80-78-76-43-72-70	بلاد المغرب
ت	
10	تاهيرت
68-66-10	تلمسان
83-42-30-10	تونس
ج	
44-42-10	الجزائر
15-14-13	الجزيرة العربية
ح	
16 -13	حضر موت
س	



67	سبته
09	السوس الاقصى
23	سيرتا
ش	
13	الشام
ص	
88 -45 -43 -36 -26 -13 -09	الصحراء
ط	
42	طرابلس
فا	
10	فاس
12	فلسطين
ق	
09	القارة الافريقية
10-09	القيروان
ل	
28-23-09	ليبيا
م	
10-09	المحيط الاطلسي
10	مراكش
84-25-13-09	مصر
10	المغرب الادنى
10	المغرب الاقصى
10 -09	المغرب الاوسط
ن	
09	النيجر



و	
10	واد ملوية
76 -44 -34	وهران
ي	
15 -13 -12	اليمن
35 -32 -11	اليونان



فهرس القبائل والشعوب	
أ	
13	الاشوريون
10	الاغالبية
13 -12 -09	الاغريق
51 -49	الامازيغ
16	أميم
47	الأوزيين
47	الايوسيس
ب	
14	البتر
14	البرانس
-31 -24-23-22-21-14-13-12-11-10 -ج- ب- ث-	البربر
-48 -46 -45 -44 -43-42 -40- 38 -36 -34 -32	
-87 -86 - 83 -82 -81 -55 -54 -53 -52 -51 -50	
88	
16	بني حمير
ت	
52 -40	التحنو
52 -41 -32	التمحو
ج	
15	جديس
35	الجرانت
15	جرهم الاولى
49	الجلدانيين
12 -09	الجيتول



ح	
87	الحماديين
ر	
16	ربيعة
32 -12 -09	الرومان
ز	
88	زناتة
75 -61	الزيانيون
ص	
13	صنهاجة
ط	
16 -15	طمس
ع	
16	عبيل
- 83- 79 -45 -38 -32 -16 -15 -14 -11 -ج -ث -ت	العرب
88 -85	
16 -13	العمالقة
ف	
10	الفاطميين
10	الفرس
32 -25 -14 -10	الفيثقيين
ق	
16	قحطان
ك	
13	كتامة
13 -12	الكنعانيون



ل	
35	اللوطوفاجيون
41	الليبو
م	
49	الماخلي
78	المرابطين
67	المسيحيين
16	مضر
49	المكاي
78 - 75	الموحدين
ن	
53 - 47 - 20	الناسمونييين
49 - 42 - 32 - 27 - 09	النوميد
هـ	
ج- 91 - 90 - 89 - 88 - 87 - 86 - 84 - 83 - 82 - 81	الهلاليون
85	هواره
و	
83	الوندال
ي	
52 - 51 - 49 - 41 - 40 - 36 - 35 - 25 - 24 - 12	اليبيين
11	اليونانيون

فهرس

الموضوعات



الصفحة	الموضوعات
	شكر وتقدير
	إهداء
	المختصرات
أ - خ	مقدمة
الفصل التمهيدي: مفاهيم عامة حول البلاد والسكان	
09	1- المدلول الجغرافي للمغرب الإسلامي
11	2- تعريف البربر
14	3- تعريف العرب
16	4- مفهوم العادات والتقاليد
الفصل الأول: الموروث البربري المحلي	
21	أولاً: العادات والتقاليد
21	1- العادات المتعلقة بالمعتقدات التعبدية للبربر
21	1-1- عادات متعلقة بتقديس مظاهر الطبيعة
23	1-2- عادات متعلقة بتقديس الحيوان
26	1-3- عادات البربر في عبادة البشر
28	2- العادات الخاصة بطقوس إستدرار المطر وطقوس الدفن
28	1-2- عادات خاصة بطقوس إستدرار المطر
31	2-2- عادات خاصة بطقوس الجنائز
35	ثانياً: العادات والتقاليد الشعبية
35	1- عادات خاصة بالطعام والمشرب والملبس والمسكن
35	1-1- المأكل والمشرب الخاص بالبربر
40	1-2- الملبس والمسكن



47	2- عادات خاصة بالمرأة والمجتمع
47	2-1- عادات متعلقة بالمرأة
49	2-2- عادات متعلقة بالمجتمع
الفصل الثاني: الموروث العربي الوافد	
59	أولاً: العادات الوافدة مع عرب الفتح
59	1- العادات الإحتفالية الدينية
59	1-1- الإحتفال بشهر رمضان وليلة القدر
61	1-2- الإحتفال بعيدي الفطر والأضحى (وبموكب الحج ويوم الجمعة)
64	1-3- الإحتفال بعاشوراء والمولد النبوي الشريف
69	2- العادات الإحتفالية المدنية والعسكرية
69	2-1- الإحتفال بالزواج
73	2-2- الإحتفال بالعقيقة وختان الأطفال
76	2-3- الإحتفالات العسكرية
77	3- عادات وتقاليد عربية تأثر بها المجتمع البربري
77	3-1- التأثيرات التي مست الأسرة والمرأة
78	3-2- التأثيرات التي مست مجال اللباس والمأكل
82	3-3- العادات الجنائزية
83	ثانياً: العادات الوافدة مع العرب الهلالية
83	1- الحضور الهلالي في مجال المغرب
83	1-1- التأثير الاجتماعي
88	2- الثقافة الوافدة مع الهلاليين
88	2-1- اللهجة الهلالية
92	2-2- الشعر الهلالي



96	خاتمة
101	ملاحق
108	قائمة البليوغرافيا
118	فهرس الأعلام
121	فهرس الأماكن
124	فهرس القبائل والشعوب
128	فهرس الموضوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ